

الافتتاحية

هل هذا من السياسة

إذا أردنا لحياتنا الفكرية أن تستقيم ويكون للكلمة معنى وتأثير ، فلا بد من أن نحدد المصطلحات التي يثار حولها الجدل أو تستعمل في غير معناها الحقيقي ، وإن كلمة (سياسة) من هذه المصطلحات التي يمارس باسمها كل أنواع التهريج والعسف والخسف . وقد قرأت للمفكر الجزائري مالك بن نبي -رحمه الله- تفريقاً دقيقاً بين كلمتين : (السياسة) و (البوليتيكا) فالكلمة الأخيرة وإن كانت تعني في اللغات الأوروبية : السياسة ولكن ، بعض الناس أطلقوها على الذين يتقنون فن التهريج والمكر والكذب على الشعوب ، أو يتخبطون في الأحلام والأوهام ، وأطلقها هذا المفكر على الساسة المعاصرين له الذين يمارسون (البوليتيكا) وبظنون أنهم يمارسون السياسة .

السياسة توجيه محدد وأهداف واضحة ، وفعل الممكن ، هذا عند من يعتمد على ثقافة معينة وتجارب تاريخية ، وأما عند المسلم فهي «استصلاح الخلف بإرشادهم إلى الطريق المنجي في الدنيا والآخرة» (١) . فهي سياسة شرعية مبنية على أصول ثابتة من القرآن والسنة وسيرة الرسول -صلى الله عليه وسلم- ، وسيرة الخلفاء الراشدين . وما كتبه العلماء حول هذا الشأن . ونحن عندما نفرق بين السياسة القائمة على أصول ثابتة مع مراعاة المصلحة الشرعية وظروف الواقع وبين ما يسمى سياسة : فلأننا ندرك حجم المأساة التي جرتها ممارسة (البوليتيكا) على الدعوة والدعاة في العصر الحديث حيث المواقف المتناقضة ، والدخول في الصراعات التافهة بين الأحزاب . ويحق لنا أن نتساءل: هل من السياسة أن تعقد عقداً أو تهادن عدواً ثم تنقضه في السر بحجة المصلحة وتظهر أمام الناس أنك تكيل بمكيالين وتتناقض مع مبادئك ؟ و الإسلام لا يبيح هذا ، جاء في سورة الأنفال :

((وَأَمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ)) [الأنفال: ٥٨].

أي إذا خفت «وتوقعت من قوم خيانة بنقض عهدهم ، وهذا يظهر لك بالدلائل القوية فاقطع عليهم طريق الخيانة بأن تنبذ إليهم عهدهم أي تعلمهم بفسخه على طريق سوي واضح لا خداع فيه ولا استخفاء ولا خيانة حتى تكون أنت وهم في العلم سواء ، والحكمة في هذا النبذ أن الإسلام لا يبيح لأهله الخيانة مطلقاً ، وقد روى البيهقي في شعب الإيمان عن ميمون بن مهران قال : «ثلاثة المسلم والكافر فيهن سواء ، من عاهدت فوفَّ بعهدة مسلماً كان أو كافراً ، ومن كان بينك وبينه رحم فصلها مسلماً كان أو كافراً ، ومن انتمك على أمانة فأدها إليه مسلماً كان أو كافراً» (٢) .

وفي معرض ولاية المؤمنين بعضهم لبعض وأن الذين لم يهاجروا إلى دار الإسلام فليس لهم ولاية وحقوق كمن هاجر ((وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا)) واستثنى من ذلك إذا قاتلهم الكفار أو اضطهدوهم لأجل دينهم فيجب على دولة الإسلام والمسلمين في دار الإسلام نصرتهم (وإن استنصركم في الدين فعليكم النصر) (ثم استثنى من هذا الحكم حالة واحدة فقال : «إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق» يعني «إذا استنصركم فانصروهم إذا كانوا في دولة كافرة محاربة ، أما إذا كانوا في دولة كافرة ولكنها معاهدة فهؤلاء يجب الوفاء بعهدهم لأن الإسلام لا يبيح الغدر والخيانة بنقض العهود والمواثيق» (٣) .

وجاء في صحيح مسلم عن الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان قال :

«ما منعني أن أشهد بديراً إلا أنني خرجت أنا وأبي: حُسيل ، قال : فأخذنا كفار قريش ، فقالوا : إنكم تريدون محمداً ، فقلنا : ما نريده ، ما نريد إلا المدينة ، فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننصرفن إلى المدينة ولا نقاتل معه ، فأتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم- فأخبرناه الخبر فقال :
"انصرفا ، نفي لهم بعهدهم ونستعين الله عليهم" (٤).

إلى هذا المرتقى يرتفع الإسلام ويراعي العهود والعقود ، ونتساءل مرة ثانية : هل من السياسة ما يفعله البعض من إمساك العصا من الوسط ويعتبرها سياسة دائمة له ويظن أن هذا منتهى الكياسة أو يطلق التصريحات العائمة الغائمة فلا يدري السامع ماذا يريد ؟ وماذا يعني ؟ وهل من السياسة رفع شعارات لا يؤمن بها صاحبها ، وما رفعها إلا إرضاء للعامة وغوغاء الناس أو إرضاء لفئة من الناس يحبون العيش فترة من حياتهم في أحلام اليقظة أو تستثيرهم التصريحات العاطفية. قد يضطر المسلم للتورية أحياناً أو يصرح بتصريحات عامة في ظروف معينة ، ولكن أن يكون هذا ديدنه فهذا أقرب إلى الضعف والخور يليسهما لبوس السياسة بزعمه . ونحن نعتقد أن الحرب خدعة وأنه قد يستعمل المكر مع الأعداء ولكن هذا يختلف عن التصريحات الكاذبة أو نقض العهود . إن بعض أسباب ممارسة هذه (البوليتيكا) واضحة لمن يتأمل واقع المسلمين ، فهذا الذي يتحدث، ويطلق التصريحات الفضفاضة والتي هي أكبر منه ، وهذا الذي يقود ويتزعم ... هؤلاء ليسوا من رجال الفطرة الذين يملكون الشجاعة والروح الوثابة والروح الإيمانية الغامرة التي تدفعهم للتغيير، ذلك لأنهم نشأوا في ضعف وهزيمة، الواحد منهم لا يملك الاستعداد للأمر العظيم ، فهو دائماً في منتصف الطريق ، وهو دائماً يمسخ المشاريع الكبيرة ليحيلها إلى (سياسة) حسب مفهومه فهو مستعد «لنصف جهد، ولنصف اجتهاد ونصف طريق» (٥).

وبعضهم لم يكن يتصور في يوم من الأيام أنه سيقود الجموع وتفتح له أبواب الجاه مشرعة فلما وسد إليه الأمر ، لسبب وجاهته أو فصاحته أو ... لم يكن يصدق ذلك فرجع إلى طبيعته من الضعف واستغل هذا لتحقيق أهدافه الدنيوية التافهة. إذا أردنا التغيير فلا بد من رجال الفطرة الذين يفهمون السياسة الشرعية فهما دقيقاً وكفون عن ممارسة (البهلوانية) والظهور بوجهين ، وإطلاق التصريحات العاطفية ويواجهون الواقع بحذر وحزم وعزم.

«فليس للانحراف طرق مرسومة نظرياً ولكن له دروباً مظلمة يتعثر فيها السائر في كل خطوة».

مالك بن نبي

الهوامش :

- ١- التهانوي : كشف اصطلاحات الفنون ١/٦٦٥،
- ٢- رشيد رضا/تفسير المنار ١٠/٥٣،
- ٣- المصدر السابق ١٠/١٠٨،
- ٤- صحيح مسلم ٣/١٤١٤ كتاب الجهاد،/١٧٨٧
- ٥- مالك بن نبي شروط النهضة/١١٠. ١/٦٦٥

رجال الاجتماع ومهمة تفكيك الدين

د. أحمد إبراهيم خضر

تناولنا في الحلقة الماضية قضية اتهام رجال الاجتماع في بلادنا لشباب الجماعات الإسلامية بالتطرف ، وبأنهم مرضى عقليون يمثلون شخصيات مريضة تعاني من الجنون الدوري ، أو جنون الاضطهاد والعظمة ، وبيننا سقوط هذا الادعاء على أساس ما توصل إليه مائة متخصص ومهني من علماء الطب النفسي في عام ١٩٨٠ بالولايات المتحدة من أنه لا علاقة بين الإصابة بالأمراض العقلية والسلوكيات وخاصة التطرف . كما عرضنا لاعتراف رجال الاجتماع بأن البديل لانضمام الشباب إلى الجماعات الإسلامية هو إما الهجرة أو ممارسة الأعمال غير المشروعة : كالاتجار في المخدرات ، أو الرشوة ، أو التهريب ، أو ممارسة الجريمة التقليدية، وغير التقليدية. كما سجلنا على رجال الاجتماع اعترافهم بأصالة القيم التي يحملها شباب الجماعات الإسلامية ، وبأن التجاءهم إلى الدين قد حماهم من الدمار الشامل الذي أصيب به غيرهم من الشباب. ونبينا في هذه الحلقة الأسباب التي تكمن وراء سعي رجال الاجتماع في بلادنا لتفكيك الدين ، ودور الدولة في تمهيد الطريق لإنجاح هذه المهمة.

لماذا يرى رجال الاجتماع في بلادنا أن تفكيك الدين ضرورة؟

يدرك رجال الاجتماع في بلادنا تمام الإدراك أن الإسلام يقدم تصوراً معرفياً لتفسير العالم الاجتماعي ، وأنه لا يمكن تصور استقلالية لهذا العالم إلا في حدود (المشروع الرباني) الذي يمنحه إياها - هكذا قالوا بنص عباراتهم - كما يدركون أيضاً أن هذا الإسلام يشكل نمطاً للبناء الاجتماعي وإطاراً مرجعياً يلجأ إليه الناس بطريقة تلقائية للتفكير في هذا العالم الذي يعيشون فيه . ويرفض علم الاجتماع ذلك لأنه يريد أن يقدم معطيات الحياة الاجتماعية من عنده تحت غطاء تعرية هذه المعطيات ، ولهذا السبب كان انتقاد علم الاجتماع للدين جزءاً لا يتجزأ من طبيعة تكوينه ، وكان صدامه مع الدين أمراً لا مفر منه ، وإذا التقياً فإن التقاءهما لا يمكن أن يتم إلا عبر صراعات.

يقول محمد شقرون أستاذ الاجتماع في جامعة محمد الخامس بالمغرب:

«تدخل السوسيولوجيا في هذا المجال في صدام مع الدين ، إنها تصطدم به من جهة ، لأن الدين يشكل نمطاً للبناء الاجتماعي للواقع ، ونسقاً مرجعياً يلجأ إليه الفاعلون الاجتماعيون بكيفية تلقائية لتفكير العالم الذي يعيشون فيه . ويشكل هنا انتقاد الدين جزءاً لا يتجزأ من تعرية المعطيات التلقائية للتجربة الاجتماعية، حيث تكون الوقائع السوسيولوجية ملتصقة . وتشكل هذه التعرية نقطة عبور لا مفر منها في عملية موضوعة هذه المعطيات . وتلتقي السوسيولوجيا بالدين كذلك في الوقت الذي يعتبر الدين تصوراً عرفانياً لتفسير العالم الاجتماعي والذي لا يمكن أن يتصور استقلالية لهذا العالم إلا في حدود المشروع الرباني الذي يمنحه إياها ، لهذا فإن التقاء السوسيولوجيا بعلم اللاهوت لا يمكن أن يتم إلا عبر صراعات» (١).

يريد رجال الاجتماع في بلادنا إخضاع الدين لتحليلاتهم وتفسيراتهم وتصوراتهم. وفي أذهانهم اعتقاد خاطئ بأن الدين كان ولا يزال ينافس العلم في العالم العربي ، وغاب عنهم تماماً أن الدين والعلم في الإسلام متساندان وليس في تصارع وصدام كالحال في بلاد الغرب. ويعبر محمد شقرون عن هذا الاعتقاد الخاطئ فيقول : «إلا أنه لا يمكن أن نتجاهل الإشارة إلى هذا الصراع الأولي عندما نتكلم عن الشروط التي جعل العلم فيها الدين موضوعاً له ، لأنه قبل لم أن يصبح الدين موضوعاً من

بين مواضيع السوسيولوجيا فإنه كان المنافس لها وما زال ينافسها في مجتمعاتنا العربية الحديثة العهد بالعلم الحديث» (٢).

انبثاقاً من هذا التصور الخاطئ بتصادم الدين والعلم في بلادنا قياساً على ما تعلمه هؤلاء من الغرب فإنهم قد أعلنوا ثورتهم على عقيدة الإسلام صراحة ، ووقفهم إلى جانب العلم تماماً ، وقالوا أنهم إذا خيروا بين عقيدة تحدد لهم أصل الإنسان ومصيره وعلّة وجوده ؛ وبين علم يقدم لهم ما يتصورونه أنه معارف وحقائق متاحة أمامهم فإنهم سيختارون طريق العلم بالرغم من اعترافهم بأن إسهام الأخير إسهام محدود.

يقول محمد الجوهري أستاذ علم الاجتماع بجامعة القاهرة (٣) : «.. ومن الممكن أن نجيب على هذا السؤال .. الأشياء التي يقدر الإنسان على تحقيقها وما هو مدى قدرتها على التكيف بطريقتين مختلفتين الأول (كذا) : على أساس عقيدة دينية أو دنيوية تحدد لنا المسائل المطلقة والنهائية في حياة البشر . عقيدة تحدد لنا أصل الإنسان ومصيره وعلّة وجوده .. الخ والطريقة الثانية : أن نجيب على أساس المعارف والحقائق العلمية المتاحة لنا .. وفي الحالة الثانية يتحتم علينا الإقلاع تماماً منذ البداية عن محاولة الوصول إلى أي إجابة عن مثل هذه التساؤلات النهائية والمطلقة ونقصر أنفسنا على كل ما هو متاح (امبيريقيا) (٤) ، أي ما يمكن أن نتوصل إلى إدراكه من الواقع ونستطيع تحليله تحليلاً مفهوماً مقبولاً ، ومن الواضح أننا - المشتغلين بالعلم - لا نفكر سوى في هذا الطريق الثاني طريق المعلم والتأسيس على العلم . كما أننا لا نستطيع كمتخصصين اجتماعيين أن نقدم في هذا الطريق سوى إسهاماً محدوداً ، وهذا قيد نعرفه ونسلم به منذ البداية» .

لم يكتف رجال الاجتماع في بلادنا بناء على هذا التصور الخاطئ بتصادم الدين بالعلم بإعلان ثورتهم على عقيدة الإسلام ولكنهم اتجهوا أيضاً إلى مهمة أخرى وهي تفكيك الدين سعياً وراء وهم اسمه "استقلالية العلم" ، أو بمعنى آخر: الانفراد بتفسير شؤون الحياة الاجتماعية وفصلها تماماً عن الدين.

تصور رجال الاجتماع أن ممارستهم لهذا العلم لن تتحقق ولن تتم إلا إذا طرحوا قضية تفكيك الدين بجرأة وصراحة كضرورة واضحة لهذه الممارسة المزعومة.

يقول محمد شقرون : «إن ضرورة تفكيك الدين من أجل التحرير الضروري لمجال الفكر ، وذلك لإنتاج تأويل علمي عن الاجتماعي لم تطرح بصراحة وجرأة في الوطن العربي كضرورة واضحة لممارسة العلم بصفة عامة وممارسة العلوم الإنسانية بصفة خاصة ، ويرجع هذا بالطبع إلى غياب حقل علمي يتمتع بكامل الاستقلالية عن السياسي وعن الدين نفسه» (٥).

وربط رجال الاجتماع بين شرعية ممارستهم للعلم واستمرار صدامهم مع الدين لتحقيق هذه الاستقلالية التي يطمحون فيها ، إلا أنهم رأوا أنه يمكن أن يقبلوا بين صفوفهم - تواضعاً - أي عالم مؤمن شريطة ألا يتحدث عن إيمانه وبهذا كان إقصاء الدين شرطاً ضرورياً لممارسة العلم.

يقول محمد شقرون : «وما زالت شرعية العمل العلمي مضمونة بالإحالة إلى هذا الصراع من أجل استقلالية المعرفة العلمية : يقبل عالم مؤمن في مجموعة العلماء شريطة ألا يتحدث عن إيمانه . إن كبر سنه وشهرته هما اللذان يسمحان له بـ "اعترافات" ذاتية بعيدة عن الممارسة العلمية» (٦).

ولو توقف طموح رجال الاجتماع في بلادنا عند حد السعي لاستقلالية العلم لهان الأمر ، لكنهم لا يكتفون بذلك بل جعلوا مهمة تفكيك الدين - كما أوضحنا - ضرورة لتأويل وتفسير الحياة الاجتماعية وفقاً لترهاتهم التي يطلقون عليها "علماء" ، إنهم لا يكونون أي احترام للدين الذي يريدون التعامل معه مثلما يتعاملون مع أي وقائع أخرى ، ولا زالوا يصرون على التمسك بأسطورة

"العقلانية" رغم اعترافهم - كما أوضحنا سابقاً - بسقوطها وإشارتهم هنا على استحياء بأن هذه العقلانية عليها مأخذ.

يقول محمد شقرون : «وطموح السوسيولوجيا الدينية يمكن تعريفه في هذا الإطار مهما تكن المآخذ على العقلانية العلمية . ويمكن تلخيص هذا الطموح بكيفية بسيطة : إن الأمر يتعلق فقط بمعاملة الوقائع الدينية كما تعامل الوقائع الاجتماعية الأخرى من الناحية السوسيولوجية ، أي بناء هذه الوقائع وتصنيفها ومقابلتها ومعالجتها بمفهوم العلاقات والصراعات» (٧).

ينتظر رجال الاجتماع في بلادنا ما يسمونه (بتراجع الدين) ، يأملون أن تأتي العقلانية - رغم اعترافهم بفشلها - بثمارها مثلما حدث في الغرب . يتوقعون مواجهة منسجمة بين الدولة والإسلام مثلما حدث بين الدولة والكنيسة في الغرب . يطمحون أن تسجل بحوثهم شهادة على تراجع الدين ممثلة في قلة الممارسة الدينية وتطبيق الفروض الدينية وتفكك الشعائر الدينية تحت ضغط التمدن والتصنيع مثلما حدث في الغرب . يشكل هذا التراجع الذي يطمحون إليه بالنسبة إليهم أفقاً فكرياً وثقافياً يسمح لهم بالعبث في النسيج العقدي لبلادنا وتخريبه. لا يريد رجال الاجتماع في بلادنا أي مقاومة من علماء الدين لمواجهة هذا التخريب، ويسعون إلى الانفلات من قبضتهم مثلما أفلت الغربيون من ضغوط الكنيسة، إن نجاحهم في الإفلات من قبضة علماء الدين سيسمح لهم بعمل مميز في علم الاجتماع ألا وهو - نقد الدين - الذي يمثل أول خطوة في تفكيك الدين.

يقول محمد شقرون : «وإذا كان الإرث الفلسفي للعقلانية قد أثر في تطور السوسيولوجيا الدينية في المجتمعات المتقدمة الغربية فإن ذلك يرجع إلى التجانس الخاص بتاريخ المواجهة بين الكنيسة والدولة في هذه المجتمعات من جهة ، ويرجع ذلك من جهة أخرى إلى كون البحوث المقامة حول الوضعية الدينية في هذه المجتمعات قد قدمت إثباتاً أساسياً لمسلمة تراجع الدين في العالم الحديث : قلة الممارسات الدينية وتطبيق الفروض الدينية ، تفكك الشعائر التقليدية تحت ضغط التمدن والتصنيع ، تقلص نسبة الرجال والنساء الذين ينخرطون في الرهبانية .. الخ وعملية تراجع الدين الذي هو الأفق الفكري والثقافي الذي تفترضه الحداثة (٨) كانت تشكل في هذه البحوث ظاهرة ملاحظة ومقاسة .. من هنا جاءت ضرورة إفلات الممارسة السوسيولوجية من تأثير رجال الدين ، إن هذه الإرادة في الإفلات أو الانعتاق من ضغوط الهرمية الكنسية ومن احتواء رجال الدين ، كانت تمثل الشكل الأول لمتطلبات النقد التي تميز كل عمل سوسيولوجي» (٩).

جاءت الصحوة الإسلامية لتصيب أماني وطموحات رجال الاجتماع في بلادنا في تراجع الدين وأحلام نقده وتفكيكه ثم اختفائه في الصميم ، وبينت لهم المآل الحقيقي للحداثة، وأثبتت لهم أن الطريق الذي سلكوه ليس طريقاً سهلاً ، وفوجئ رجال الاجتماع بأن الدين بدلاً من أن يختفي فإنه يقاوم ويتحول ويمتد إلى قطاعات كانوا يسيطرون هم عليها. أصبح رجال الاجتماع أمام هذا الموقف الجديد في موقف الدفاع مع المقاومة الشديدة التي واجهتهم في ظروف غير مواتية لهم ، لكنهم لازالوا يصممون على الكفاح من أجل الحفاظ على ما يسمونه الطموح في نقد الدين.

يقول محمد شقرون : «إن الأهمية القصوى التي أصبح يحظى بها الحدث الديني في المجتمعات الحديثة في أوساط المهتمين بالسياسة وفي أوساط المثقفين الذين يتحدد دورهم في فهم مآل الحداثة لا تسهل الوضع الفكري لعلماء اجتماع الدين تجاه موضوعهم . فقد بين هؤلاء منذ زمن بعيد أن الدين عوض أن يختفي ، يقاوم ويتحول ويستولي على موضوعات جديدة لا صلة لها بالدين ، وأنه بإمكانه أن يخلق ما هو جديد ولكنه يبدو أن مجموع هذه الظواهر (المقاومة ، التحويل ، التعويض ، التجديد .. الخ) تأخذ قيمة جديدة في النظرة السوسيولوجية ، فقد أصبحت السوسيولوجيا اليوم وخاصة في المجتمعات العربية أمام وضعيه الكفاح من أجل الحفاظ على

طموحها النقدي في ظرفية تتميز بتبني كل أشكال المقاومات الدينية واستخدامها لمصلحة اللاعقلانية» (١٠).

يدرك رجال الاجتماع في بلادنا أن طموحاتهم في نقد الدين وتفكيكه لا تزال قائمة ما دامت الدولة تقاسمهم هذه المهمة وتشارك معهم في التآمر ضد الدين . تعطي الدولة وزناً كبيراً للعلوم الإنسانية لا يماثل هذا الوزن الذي تعطيه للعلوم الطبيعية ، حيث تظهر العلوم الإنسانية أن سلوك الإنسان بما فيه (السلوك الديني) يخضع لتأثير معطيات نفسية واجتماعية ، كما تبرهن العلوم الاجتماعية وخاصة علم الاجتماع وعلم النفس والتحليل النفسي أن القوى والدوافع التي تتحكم بالأراء والمعتقدات والإرادات هي قوى ودوافع ذات طبيعة متغيرة تبعاً لدرجة تطور المجتمعات ، أي (لا تأثير للدين والعقيدة فيها) وتبين هذه العلوم (للدين) كما يقول - فرحان الديك - أن الإنسان تابع لنظام اجتماعي يرتبط فيه التفريق بين الديني والديني . أي فصل الشؤون الدنيوية عن الدين..

ومن هنا لا نستغرب أن نجد أن عداء رجال الاجتماع في بلادنا مرتبط ومحمم بعداء الدولة للدين التي اتخذت منذ زمن بعيد خطوات محددة مهدت الطريق لرجال الاجتماع لأداء مهمتهم في تفكيك الدين ، وقد كان أبرز هذه الخطوات الآتي :

أولاً : التركيز على القومية كهدف أعلى وغاية أسمى، والعمل على ترويض الإنسان ومحاولة الاستئثار به كلياً وإبعاده عن الدين مع تشديد الدولة على رعاياها بالتأكيد على عدم الخلط بين الدين والدنيا ، وتحرير السلطة السياسية من وصاية الدين، وتطوير أخلاق سياسية لا تمت بصلة إلى أي معيار سماوي ، ولا تترك الدولة للإنسان فرصة اختيار موقف محايد في الصراعات الاجتماعية والسياسية القائمة بتطبيقها ، بل تصر على مبدأ "من ليس معنا فهو ضدنا". يقول فرحان الديك : «في الماضي غير البعيد بالنسبة إلى المجتمع العربي كان الدين الإسلامي يتغلغل كلية أو في محمل حياة الفرد وفكره . وعلى هذا الأساس كانت سيادته كأفق ثقافي للفرد ، لكن عندما حلت الدولة بمفهومها الحديث محل الدين في مناخ صراعي حدث تنافس بين الدين والمجتمع ، فالأمة عندما تكف عن الخضوع للدين ومنذ أن تصبح القومية الهدف الأعلى وتعد الغاية الأسمى تصبح بالضرورة عدوة للدين ، فهي تتطلع إلى ترويض الإنسان لتجعل منه غرضها وشأنها وإبعاده عن الأجواء التقليدية لتستأثر به كلياً (١١).

ثانياً : تطبيق سياسة العلمنة كتحد شامل وعام للدين خاصة لأن الدين في الإسلام ليس قضية خاصة أو مجالاً أو حيزاً محدداً بدقة مستقلاً ومفصلاً عن المجالات الأخرى، وإنما يغطي بشمول كبير المحيط العائلي والاجتماعي والسياسي والقانوني ، لا يترك حيزاً من الحياة الفردية والجماعية دون أحكام وقواعد، وتمتد فروعه إلى كل مجال، وتأثيره حاضر باستمرار . ولتحقيق هذا الاستقلال والانفصال بين شؤون الدنيا والدين قامت الدولة بما يلي: (١٢)

١- توطيد المؤسسات العلمانية التي تؤسسها ، والتي تأخذ الطفل والشباب إلى جو يختلف كلية عن جو الأوساط الدينية، وإدخال الفرد في عدة جماعات ذات أهداف مستقلة لا تفكر مطلقاً في الدين أو اليوم الآخر . وتفرض الدولة على الفرد الانتقال باستمرار من المحيط الديني إلى محيط يجهل كل شيء عن الدين ، أو يكن له عداءً مكشوفاً ، ويتمركز أصلاً حول المصالح الدنيوية المادية ، إلى أن ينتهي الأمر بالفرد إلى اعتبار الدين مؤسسة شبيهة بالمؤسسات الاجتماعية الأخرى ، لا يكرس له من وقته ونفسه إلا حيزاً محدوداً.

٢- العمل على تحقيق العلمنة الفعلية للمجتمع بتأسيس منظمات وجمعيات ثقافية ونقابية وحزبية وتنظيمية (كالنادي الرياضي ، أو التنظيم المهني ، أو الجماهيري ، أو السكني) تتوسط بين الفرد

والمجتمع دون ضرورة للمرور على المؤسسات الدينية كما كان الحال في الماضي . وبتأسيس هذه المنظمات يضعف اعتماد الفرد في تفسير أمور حياته على القيم الدينية . وتتسع هذه المنظمات إلى لا تقيم اعتباراً لقيم الفرد الدينية ، ولا تهتم إلا بمصلحة الفرد في ضوء هدفها الذي تسعى إلى تحقيقه ، ومن ثم يتحول الدين إلى مسألة خيار شخصي لا يعينها ولا يهملها .

٣- فصل المجالات الاقتصادية عن الدين ، بإعادة بناء المجتمع وفقاً لمقتضيات ومتطلبات الإنتاج والاستهلاك ، بحيث تكون الكلمة العليا للربح والدعاية والتنافس وتقنيات الإنتاج والتسويق والإدارة ، ولا يكون هناك تأثير مطلقاً للأخلاق الدينية ، ويكون القرار في يد أولئك الذين يملكون سلطة سياسية واقتصادية وسيطرة لا حد لها . ومن هنا تختلف خيارات الإنسان المرتبطة بتصوره وحاجاته عن التصور الذي ينبثق من مبادئ وقيم الدين، بحيث يشدد التركيز على الجانب المادي من الحياة وعلى السعادة الدنيوية ، دون وضع اعتبار لقيم الدين كالقناعة والابتعاد عن الغش والاحتكار.. الخ.

٤- التركيز على سياسة تحديد النسل وتدخّل السلطات الرسمية فيها ، وهي تعلم أنه مجال يلقى معارضة شديدة من الدين وعلماؤه . تؤكد الدولة للإنسان بأن له حق التصرف في جسده ، كما تقوم بإدخال معطيات ديموغرافية وفيزيولوجية ونفسية وطبية وسياسية في مسألة الإنجاب ، وهي معطيات من شأنها أن تقوض المرتكزات الدينية التي تقوم عليها هذه المسألة..

ثالثاً : تصوير الحضارة الصناعية على أنها حضارة منافسة للدين متحدية له بما تقدمه من إمكانيات العلم والتقنية ، وبتصويرها للإنسان على أنه سيد للطبيعة وأن على الإنسان أن يتكيف لهذه الحضارة بسبلها المادية والفكرية معاً ، وهذا يستلزم منه أن يعيد النظر في أفكاره الدينية التي تكونت عبر مراحل تنشئته الاجتماعية . وتؤدي هذه العملية إلى أن يصبح العالم الفكري للإنسان (عقلانياً) فلا يحتاج بالتالي إلى الدين الذي ينظر إلى هذه الحضارة -كما يتصور فرحان الديك - نظرة ترقب وتجاهل.

رابعاً : الاستفادة من انتشار العمران والحراك الجغرافي والاجتماعي بالتأكيد على التجديد والابتكار وبتعددية المواقف ونسبية الخيارات ، كل ذلك بقصد ألا تنطلق المواقف والخيارات من الدين وحده ، مع تأكيد النظرة إلى المسجد على أنه أحد القطاعات التي تضمها المدينة أو القرية الريفية ، والعمل ألا يختلط المسجد بالحي أو بالوسط الريفي مثلما كان سائداً في الماضي مع تحجيم دوره بالصورة التي تمنع هذا الخط .

الهوامش :

- ١- محمد شقرون ، شروط إمكانية قيام سوسيولوجيا دينية في المجتمعات العربية ، الدين والمجتمع العربي ، مركز الدراسات العربية ببيروت ١٩٩٠ ص ١٢٨
- ٢- تابع ص ١٢٨
- ٣- بوتومور ، تمهيد في علم الاجتماع ، محمد الجوهري وآخرون دار المعارف سلسلة علم الاجتماع الكتاب الرابع ١٩٨٧ ص ١٦
- ٤- الامبيريقية Empricism مصطلح مشتق من الكلمة اليونانية Empeira وترجمتها إلى اللاتينية Experientia بمعنى التجربة ، والامبيريقية على عكس العقلانية هي النظرية التي تقول أن التجربة وليس العقل هو مصدر المعرفة بمعنى أن كل ما نعرفه إنما يرتبط مباشرة بالخبرة الحسية أو يشتق منها بوسائل تجريبية تعتمد على الإدراك الحسي . انظر: D.w Hamlyn Empricism the Encyclopedia of Philosophy , Paul Edwards, Macmillan Publishing , New York , London P 499.

وحسبنا في بيان تعارض الامبيريقية مع العقيدة شهادة رجال الاجتماع في بلادنا في قولهم (أن الامبيريقية تستند إلى ما يسود العلوم الاجتماعية بوجه عام من اتجاه علماني ومن اهتمام بمسائل علمانية) ولأن الامبيريقية تعتمد فقط على الأساليب الفنية فإنها ترفض أي فكر وتبدأ بالواقع وترى بصراحة (إن كل ما لا يخضع للتجريب فهو باطل).
انظر : محمد عاطف غيث ، دراسات في تاريخ التفكير واتجاهات النظرية في علم الاجتماع ، دار النهضة العربية بيروت ١٩٧٥ ص ٢٨٤ .

وعن الامبيريقية يقول رجال الاجتماع في بلادنا : أنها تلفية تلفية جزئية عديمة اللون والطعم ، تعتمد على الموقف الخبري المبسط الذي يلاحق الظواهرات مبعثرة مسقطة من حسابها الإطار النظري الشامل الذي يحتويها . وتعتمد البحوث الامبيريقية على جمع فكرة من هنا وأخرى من هناك ثم اختيار عينة عشوائية عمدية في معظم الأحيان ثم تصميم استمارة بحث يعرض الباحث نتائجها في صورة جداول إجابة المبحوث فيها هي التي يريدها الباحث ، موقفها مفتعل ونتائجها مفتعلة أيضاً .

نظر عبد الباسط عبد المعطي ، اتجاهات نظرية في علم الاجتماع ، عالم المعرفة ، المجلس القومي للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ١٩٨١ ص ٢٧٣-٢٧٨ .

٥- محمد شقرون تابع ص ١٢٩،

٦- تابع ص ١٢٨ .

٧- تابع ص ١٢٨-١٢٩،

٨- الحداثة كمفهوم وكحركة نقلها البيغانيون العرب إلى مجتمعاتنا العربية من الغرب ولهذا لا يمكن فصل الحداثة العربية عن الحداثة الغربية باعتراف الحداثيين العرب أنفسهم . يقول محمد براده (إن الحديث عن حداثة عربية مشروط تاريخياً بوجود سابق للحداثة الغربية وبامتداد قنوات للتواصل بين الثقافتين) انظر محمد براده في اعتبارات نظرية لتحديد مفهوم الحداثة ، فصول مجلد ٤ عدد ١٩٨٣ ص ١١ . أشار براده إلى ذلك أيضاً في الفقرة التي اقتبسها من جون بودريان في قوله (تفرض الحداثة نفسها وكأنها وحدة متجانسة مشعة عالمياً من الغرب) . نفس المصدر ص ١٢ .

والحداثة كما تعرفها الموسوعات الغربية هي أي نظرة تقوم على الاقتناع بأن العلم والتقدم العلمي الحديث تتطلب إعادة تقييم أساسي للعقائد التقليدية ومن ثم لا تنظر إلى الدين على أنه صياغة دقيقة لسلطة جديرة باعتماد وقبول للحقائق المنزلة من الله وعلي أنه مقولات لمشاعر وخبرات دينية عاشها بعض الرجال عبر حقبة تاريخية معينة ولهذا تكون الحقائق الدينية عرضة لعملية تطوير مستمر كجزء من الخبرة المتقدمة للجنس البشري وتستلزم هذه العملية إدخال مفاهيم عديدة وجديدة كشيء متطلب للتغيير عن الفكر والتقدم الحديث . وليس الوحي في مفهوم الحداثة إلا مجرد خبرة شخصية حسية لمجموعة حقائق (عن) الله أكثر منه موضع اتصال لحقيقة شاملة (من) الله . انظر :

Modernism : in the Encyclopedia , Americana , American Corporation , N.Y., 1967 , P2891 .

وترجع جذور الحداثة كحركة عامة إلى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين . اتجهت هذه الحركة إلى تطبيق المناهج النقدية على التوراة والإنجيل وتاريخ العقائد مما أدى إلى الحط من قدرها والنظر إلى الله (تعالى) على أنه ليس فوق الوجود المادي . انظر :

Modernism : in the new Columbia Encyclopedia , Columbia University Press ,
U.S.A , 1970 , P1801.

ويشير جون بوتلي في الموسوعة الأكاديمية الأمريكية إلى أن هذا المصطلح قد استخدم في
العصر الحديث لنقد الدين بصفة عامة . انظر:

John Booty , Modernism in Academia American Encyclopedia , Arete Publishing
Comp. Inc., Princeton , Newjersey , 1980 , P 490.

بهذه المفاهيم التي نقلها البيغانيون العرب من الغرب شنوا هجومهم الضاري على الإسلام
مفترضين عن جهل تصادم الإسلام مع العلم كالحال في بلاد الغرب فراحوا يقيّمون ويعدّلون
في الإسلام والوحي والرسالة وفق أهوائهم.

ومن أبرز المعاصرين الذين حملوا على عاتقهم هذه المهمة (حسن حنفي) أستاذ الفلسفة الإسلامية
بجامعة القاهرة . دعا حسن حنفي إلى إخضاع القرآن للنقد وللمنهج النقدي مثلما فعل
(سبينوزا) مع التوراة والإنجيل ، رافضاً تفسير قوله تعالى : ((إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ
لَحَافِظُونَ)) بمعنى أنه حفظ للنص متهماً النظرة القائلة بأن معنى الآية حفظ للنص الحرفي
المدون بأنها نظرة (لاهوتية صرفة تهرب من -النقد- وتلجأ للسلطة الإلهية) . انظر :

أحمد إبراهيم خضر ، وقفات مع اليسار الإسلامي ، مجلة المجتمع عدد ٩٠١ وما بعده ١٧
جمادي الآخرة ص ١٤٠٦ / ٢٤ يناير ١٩٨٩

وعن رفض الحداثيين العرب (الله) و (للدين) وتشبثهم بالفكر العلماني والنظر إلى الإنسان
على أنه محور الوجود وليس الله ، يقول كمال أبو ديب :

(الحداثة انقطاع معرفي . ذلك أن مصادرها المعرفية لا تكمن في المصادر المعرفية
للتراث في كتب ابن خلدون الأربعة أو في اللغة المؤسساتية والفكر الديني وكون الله مركز
الوجود... الحداثة انقطاع ، لأن مصادرها المعرفية هي اللغة البكر والفكر العلماني وكون
الإنسان مركز الوجود) . انظر:

كمال أبو ديب ، الحداثة ، السلطة ، النص ، مجلة فصول مجلد ٤ عدد ٣ عام ١٩٨٤ ص ٣٧،

٩- محمد شقرون تابع ص ١٢٩-، ١٣٠،

١٠- تابع ص ١٣١-، ١٣٢،

١١- فرحان الديك الأساس الديني في الشخصية العربية ، الدين في المجتمع العربي ، مركز دراسات
الوحدة العربية ، بيروت ص ١١٧،

١٢- انظر فرحان الديك تحت (تحديات حضارة المجتمع الصناعي للدين وتراجع الدين في
الحياة الاجتماعية) المرجع السابق ص ١١١-١٢٥.

خواطر في الدعوة

أمراض القلوب

(٢)

محمد العبدية

من يتأمل النفس البشرية ويسبر غورها فسيجدها فسيجد العجب العجاب من مداخلها ومسارها ، فهي إذا
كرهت تبعد صورة من تكره بألف حيلة وتشوهها بألف لون ، وإذا أحببت فمثل ذلك أن تلجم وتقطم

عن مثل هذه المداخل حدثني أحد الأخوة عن لقاء عابر مع صديق له وهو من العاملين في حقل الدعوة الإسلامية ، قال : فوجئت بهذا الصديق يغمز ويلمز بأحد الدعاة الذين نحسبهم من أهل العلم والصدق - ولا نزكي على الله أحداً - وكان يغمز ويلمز بطريقة ذكية استعمل فيها التلميح دون التصريح . وتعجبت من تلميحاته وكرهه لهذا الداعية ، وهو لم يلتق به من قرب ولم يقرأ له . فقلت لهذا الأخ : لا تعجب ، إنه الحسد والمعاصرة ، أليس هذان الاثنان من بلد واحد ومن منطقة واحدة ؟ قال : بلى . قلت : إذن سأسمعك ما كتبه أبو بكر الرازي في هذا الموضوع - والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها :-

«إننا نرى الرجل الغريب حكماً في بلد ما ، متحكماً في أهله، ومع ذلك فلا يكادون يحسون نحوه بكراهية أما أن يحكمهم رجل من أهلهم فالأغلب أن تنصب عليه الكراهية، مع أنه قد يكون أرفأ بهم من الحاكم الغريب ، وسر ذلك هو محبة الإنسان ، لنفسه ، مما يجعله تواقفاً إلى أن يكون سابقاً لسواه من أبناء قومه ، فإذا رأى الناس أن من كان بالأمس منهم قد أصبح اليوم سابقاً لهم ، مقدماً عليهم ، اغتموا لذلك وصعب واشتد عليهم سبقه إياهم ، أما المالك الغريب فمن أجل أنهم لم يشاهدوا حالته الأولى لا يتصورون قصورهم في كمال سبقه لهم وفضله عليهم ، فيكون ذلك أقل لغمهم وأسفهم» (١).

والرازي ضرب مثلاً للحاكم ونحن ننقل هذا المثل لما يقع الآن مع الدعاة والعلماء ، فنجد الرجل صاحب العلم والفضل يتكلم في أقرانه أو من أهل بلده ما لا يتكلم فيه الآخرون ، وما يقطع هذا المرض القلبي إلا أن يفكر المسلم ، ماذا يستفيد من هذا الحسد في الدنيا غير وباله في الآخرة ، ويفكر في نفسه أن فضل الله يؤتية من يشاء ، ولا حرج في المنافسة في الخير والمزيد من العلم ، وربما استطاع أن يسد ثغرة في جانب من الجوانب لا يسدها أخوه المحسود!

إننا نسمع هذه الأيام من يفرح بأخطاء أخيه ليجمعها ويؤلف فيها كتاباً!! أهكذا أمر الإسلام أتباعه؟ وهكذا تُضَيِّع الأوقات ، إنها مصيبة - والله - أن تهدر الطاقات ولا ينتبه الذي يصب نفسه داعية لأمراض قلبه وإحن صدره ، ويعالجها بالدواء الشافي كما يعالج بدنه إن أصابه شيء ، فيكون مرضياً عند الله وعند الناس.

الهوامش:

١- الطب الروحاني لأبي بكر الرازي ، نقلاً عن كتاب : عن الحرية أتحدث /٧٣ زكي نجيب محمود.

إلى خطباء الجمعة

الشيخ عبد الله بن حسن القعود

إلى إخوتي في الله خطباء الجمعة . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وأحمد الله تعالى وأصلي وأسلم على رسوله محمد بن عبد الله وبعد : فتعلمون "وفقكم الله" أهمية خطبة الجمعة ومكانتها بين العبادات وما يتطلب ويتأكد فيها من إحياء وإظهار ما شرعت له ، من عظة القلوب ، وملامسة المشاعر التي أمرت هي من جانبها أن تنتهياً قلباً وقالباً جسماً وروحاً لاستماع الخطبة ، الأمر الذي كماله المطلوب وتمامه الواجب الجاذب للقلوب والشاحذ للهمم أن يكون الواعظ فيه قد اتعظ ، والأمر قد انتمر ، وأول ما يتطلب الاتعاط به في هذا الأمر حمايتها وحفظها من أن يتطرق إليها أو

إلى شيء من أجزائها ولو ألفاظ الدعاء فيها ما ينقض الإخلاص فيها ويضعف التقبل لها. وأن تكون وفق منهجه صلوات الله وسلامه عليه فلا يخرج بها عنه. وبتتبع منهجه صلوات الله وسلامه عليه نجد أن خطبه مليئة بالثناء على الله وتعظيمه وبتذكير الناس بالأئمة عليهم ، بل وبأيامه وسننه فيهم ثواباً وعقاباً . قال ابن القيم -رحمه الله- في ذكر خصائص يوم الجمعة : إن فيه الخطبة التي يقصد بها الثناء على الله وتمجيده ، والشهادة له بالوحدانية، ولرسوله -صلى الله عليه وسلم- بالرسالة، وتذكير العباد بأيامه، وتحذيرهم من بأسه ونقمة وتوصيتهم بما يقربهم إليه وإلى جناته، ونهيهم عن ما يقربهم من سخطه وناره فهذا هو مقصود الخطبة والاجتماع لها" (١).

ومن هذا يعلم أن ما بدأ يظهر في خطب الجمعة في عالمنا المعاصر من تقليل الثناء على الله فيها، بحيث يكاد يقف القول فيه في بعض الأحيان عند أقل ما يجب ، بل ومن جعلها في بعض الأحيان مادة للثناء على أقوام بأعيانهم ، أو النيل من أقوام كذلك بأعيانهم ، أمر مخالف لما كان عليه صلوات الله وسلامه عليه وما كان عليه أتباعه بإحسان -رضي الله عنهم- وعلى من سار على نهجهم إلى يوم الدين.

وخذوا مثلاً المقارنة فيما يتعلق بالتركيز في خطب الجمعة ونحوها على الثناء على الله سبحانه والارتباط فيها بمضمون ما شرعت له مما أجمله ابن القيم -رحمه الله- خطب ابن القيم نفسه في مقدمات كتبه المنبئ عن منهجه في الخطب -رحمه الله- ، وخطب الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- المطبوعة ونحوهما ، خطب بعض الناس اليوم وما طرأ عليها في بعض الأحيان وقارنوا بينهما -أخذاً في الاعتبار البحث عن روح التوحيد الخالص - لتروا أن أولئك -رحمهم الله- لم يسودوا ولم يؤموا ولم يبقوا بيننا بذكرهم المعطر للمجالس بتسخير أقلامهم وخطبهم في مواقف محضة للثناء على المخلوقين وإنما الثناء على خالق المخلوقين. ولا شك أن ذلك إدراك منهم -رحمهم الله- لروح التوحيد ولمراد الله سبحانه في قوله ((فماسوا إلى بر الله!!)) وفسر الذكر بالخطبة، ويشهد له حديث "وحضرت الملائكة يستمعون الذكر" وفسر بالصلاة، ولا مشاحة فالأمر بالسعي للخطبة أمر بالصلاة ولن تكون الخطبة بالمعنى المطلوب الذي يصدق عليه أنه في جملته ذكر إذا تضمنت مدح أقوام بأعيانهم ، أو ذم أقوام بأعيانهم ، ولذا كان بعض السلف -رحمهم الله- يستسيغ لنفسه الكلام أثناء خطبة خطيب الجمعة إذا خرج فيها عن مقتضاها. قال صاحب المغني -رحمه الله- : "وكان سعيد بن جبير والنخعي والشعبي وإبراهيم بن مهاجر وأبو بردة يتكلمون والحجاج يخطب ، وقال بعضهم : إننا لم نؤمر أن ننصت لهذا" (٢).

وقال القرطبي -رحمه الله- في تفسيره لهذه الآية: "فإن قلت كيف يفسر ذكر الله بالخطبة وفيها غير ذلك؟ قلت ما كان من ذكر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والثناء عليه وعلى خلفائه الراشدين وأتقياء المؤمنين والموعظة والتذكير فهو في حكم ذكر الله ، فأما ما عدا ذلك من ذكر الظلمة وألقابهم والثناء عليهم والدعاء لهم وهم أحقاء بعكس ذلك فهو من ذكر الشيطان وهو من ذكر الله على مراحل " (٣).

ولا جرم أن يخرج هذا النفس من هذا العالم الجليل ، فإن أمراً جعل شرطاً لصحة صلاة الجمعة واعتبر جزءاً من مجموعها ومعلوم وجوبها العيني أنه يتعين الاهتمام به وحمايته وأداؤه وفق المشروع كي لا يتطرق إليه نقص ، فينسحب نقصه عليها. فإيا اخوتي في الله القائمين على هذا الثغر العظيم ، ثغر توجيه وإبلاغ وإمامة وشهادة على الناس يوم يقوم الأَشهاد: اعرفوا لهذا الموقف حقه ، واذكروا به موقفكم أمام الله يوم تستشهدون على الناس ، اسلكوا فيه الطريق السوي الذي لا غلو فيه ولا جفاء، فاستعمال الخطبة للنيل من أقوام بأعيانهم

خروج بها عن الوسطية المطلوبة فيها، والمبالغة فيها بالثناء على أقوام بأعيانهم خروج كذلك عن الوسطية المطلوبة فيها. قال جابر بن سمرة -رضي الله عنه- : «صليت "يعني الجمعة" مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فكانت صلاته قصداً وخطبته قصداً»، رواه مسلم وغيره ، والقصد الاعتدال ، فالمطلوب في خطب الجمعة ونحوها على وجه التقريب والتمثيل أن يختار الخطيب أوصافاً وأعمالاً فاضلة مما وصف به المؤمنون في القرآن الكريم والسنة المطهرة ، فيحث عليها ، ويرغب فيها ، أو أوصافاً ذميمة وأعمالاً سيئة من أعمال وأوصاف الكفار أو المنافقين أو فجار المسلمين ، فيحذر وينذر منها ، أو منكرأ ظاهراً ؛ فيذكره بأوصافه دون تسمية أهله في مثل هذا المقام المشترك في التقرب إلى الله بين المتكلم فيه والمستمع له ، مبتعداً في لفظه عن وحشي الكلام ومبتذله ، بادئاً بتقرير وبيان التوحيد الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه ، وبيان ما يناقض أصله أو كماله الواجب ، فأصول الإيمان وأركان الإسلام ، فالفضائل والمسائل ، وبإمكانه أن يربط الموضوع الذي يريد علاجه بتلك الأوصاف لا بأعيان أهله كما فعل -صلى الله عليه وسلم- ، عن عائشة -رضي الله عنها- قالت :

«جاءتني بريرة . فقالت : إن أحب أهلك أن أعدها لهم ويكون ولاؤك لي فعلت ، فذهبت بريرة إلى أهلها ، فقالت لهم : فأبوا عليها ، فجاءت من عندهم ، ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- جالس . فقالت : إني قد عرضت ذلك عليهم فأبوا إلا أن يكون الولاء لهم ، فسمع النبي -صلى الله عليه وسلم- ، فأخبرت عائشة النبي -صلى الله عليه وسلم- . فقال «خذيها واشترطي لهم الولاء ، فإنما الولاء لمن اعتق» ففعلت عائشة -رضي الله عنها- ، ثم قام رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في الناس ، فحمد الله في الناس ، فحمد الله وأثنى . ثم قال «أما بعد ، فما بال رجال يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله تعالى؟ ما كان من شرط ليس في كتاب الله تعالى فهو باطل، وإن كان مئة شرط، قضاء الله أحق، وشرط الله أوثق ، وإنما الولاء لمن أعتق» (٤).

وليعلم أن هذا التوبيخ لأشخاص في مخالفة قد لا تعد كبيرة، أما في الكبائر : الشرك فما دونه، فقد قال جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- «كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذا خطب احمرت عيناه ، وعلا صوته ، واشتد غضبه ، حتى كأنه منذر جيش يقول صباحكم ومساكم» رواه مسلم . وفي باب الكبائر وما ذكره العلماء حولها مادة واسعة للخطباء عند ظهور أي منكر، فلا يكاد شيء من المنكرات الظاهرة يخرج عنها ، وخذوا مثلاً كتاب الكبائر للذهبي -رحمه الله-، وكتاب الكبائر للشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-، وكتاب الترغيب والترهيب للمنذري -رحمه الله- ونحوها ، وما أسلفته من انتقاء الأوصاف الممدوحة من الكتاب أو السنة والحث عليها ، أو المذمومة والنهي عنها ، وربط الموضوع المراد علاجه بها لا بأسماء أو أعيان أهلها كما سلف . فلنأخذ كذا المنهج مخلصين متبعين عسى أن يتقبل الله منا هذه الطاعة وغيرها ، وأن يحقق بذلك المعنى العظيم الذي شرعت له الخطبة ، من تعاهد الناس بين الفينة والأخرى بالتذكير والتبصير، بل التعرف على مشاكلهم وأمراض شهوة أو شبهة، لمحاولة علاجها بما جعله الله دواء وشفاء لها في قوله سبحانه :

((يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ * قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ)) والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الهوامش:

١- زاد المعاد ج ١ ص ٣٩٨ .

٢- المغني ج ٢ ص ٣٢٠ .

٣- تفسير القرطبي ج ١٨ ص ١٠٧ .

في الدعوة والواقع مطلبان للدعاة

د. سليمان التميمي

يلاقى الدعاة إلى الله صنوف الأذى بدءاً من مضايقتهم ، والتجسس عليهم ، والتصنّت على كل مكالماتهم ، ومراقبة أعمالهم، وتتبع حركاتهم، وإحصاء أنفاسهم وأقوالهم، وروحاتهم وغدواتهم ، وأصحابهم وجلسائهم ، وانتهاءً باعتقالهم وسجنهم ، وضربهم أو قتلهم ، وأخذهم بصورة لا تليق بكرامة الإنسان . ويستقبل الدعاة هذا كله برحابة صدر ، وصبر واحتمال ، وهم يعلمون أنّ العقاب للمتقين ، والبشرى للصابرين ، وأنّ نصر الله - لا ريب - آتٍ والعجلة لا تقدّمه ، كما أن التريث لا يؤخره ، محتسبين ما يجري عليهم من ظلم وإفك ، وأذى واضطهادٍ عند الله ، والله . وهم مع هذا متمسكون بدينهم ، لا يتقهقرون عن دعوتهم ، ويطلبون أن يخلّى بينهم وبين الشعوب الإسلامية لدعوتها وإصلاحها ، قياماً بالواجب الذي افترضه الله على عباده المؤمنين :

((وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ))

((ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ))

وهم في حالهم تلك لا يسألون الناس أجراً ، يفرحون بهداية المهتدين ، وعودة التائبين :

((وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ * اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ))

هذا وصف داع للإجابة ، دالٌّ على الصدق :

((وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ))

ويتحملون ما يأتيهم من الأذى والاضطهاد ممن يدعونهم ، ولا يؤاخذونهم على ما يصدر منهم من أذى ، بل يعرضون عنه كأن لم يسمعوا ولم يروا :

((فَاعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا))

والإعراض - هنا - ليس هو ترك الدعوة، ومقاطعة المعرضين ، بل عدم مؤاخذه المدعويين، بما يصدر عنهم من أذى ، مع الاستمرار في الدعوة والبلاغ ، والحرص على الخير.

وفيما هم على هذه الحالة، يعترض طريقهم المتنفذون من أصحاب الجاه والدنيا ، يقطعون عليهم طريق الدعوة إلى الله ، ويحاربونهم من أجلها، لا يطلبون أن يميزوا بمعاملة خاصة ، أو يعطوا شيئاً ليس لهم - وهم أقرب الناس إلى الزهد فيما هو من حقهم، ولهم - بل يطلبون مساواتهم بالمجرمين ، من قطاع الطرق ، والسراق ، وغيرهم - وهو أمر مع ما يحمله من الظلم البين والإجحاف مطلبٌ يمنعه أصحاب السلطان - وذلك بإحالتهم إلى القضاء . إذ أن هؤلاء إذا

قُبض عليهم أحيلوا على الشرع لإقامة حكم الله فيهم ، بخلاف الدعاة الذين يحالون إلى الجلادين من الشرط ورجال الأمن والاستخبارات بطريقة لا تمت إلى الإنسانية ، فضلاً عن الإسلام بصلة .

ليس هذا الطلب عادلاً ، بل متواضعاً ، بل ظالماً ، ومع ذلك يرض به من نذروا أنفسهم ومالهم ووقتهم لدعوة الناس إلى الخير.

ويا لها من أمة منكوبة، جعلت دعاة الإسلام يتواضعون إلى هذا الطلب الجائر ، على حين أن الواجب أن يجعل الدعاة فوق الهام ، وأن يؤخذ برأيهم ، وأن يقدموا في كل شيء. هذه حال الدعاة في الدول التي تدعي الإسلام. أما الدول التي أعلنت براءتها من الإسلام، وانخلعت من ربقتها بجعل التحكم إلى الجاهلية ، والقوانين الوضعية ، والبراءة من الإسلام في دساتيرها ، فالأمر فيها أسوأ ، فإن مطلب الدعاة فيها أن يعاملوا معاملة إنسانية ، تليق ببني آدم ، على وفق ما تنادي به دول الكفر التي تدعي الديمقراطية ، ورعاية حقوق الإنسان التي من أبسطها في نظرهم حرية التعبير.

وللدعاة مطلب آخر من حملة العلم والمؤمنين من عباد الله بأن يؤازروهم ويقفوا معهم ، ويشاركوهم في دعوتهم التي كلف بها كل مؤمن ، ويدفعوا عنهم كل إفك وزور ، وكل شر يتربص بهم ، وإن لم يكن هذا فعلى الأقل أن يقفوا موقف مؤمن آل فرعون الذي قال : ((أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ * يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ)) (١).

فأين المشايخ وحملة العلم من هذا الموقف؟! إن الدعاة يتوقعون من هؤلاء أن يقفوا هذا الموقف على أقل تقدير ، إن لم يكن منهم قيادة للدعوة وتصدر وزعامة ، ويرجون أن لا يأتي منهم خذلان في وقت الحاجة إليهم . وقد قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ، ولا يكذبه ، ولا يحقره» رواه مسلم من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-. ألا فليعلم هؤلاء المتنفنون أصحاب الجاه ، المتحكمون في شئون أمة محمد -صلى الله عليه وسلم- أن للباطل جولة ، يعود بعدها الحق إلى الظهور ، ثم تكون الغلبة له، وأن هذا الدين ما جعله الله آخر الأديان إلا ليعم الأرض كلها :

((هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ)) وأن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قد قال : «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين ، بعز عزيز ، أو بذل ذليل ، عزاً يعز الله به الإسلام ، وذلاً يذل به الكفر» رواه ابن حبان . وأن الله قد وعد بإعلانه ونصره على الرغم من كيد الكائدين وعداوة الكفار والمنافقين ، وسيكتب الخزي على المنافقين والمرجفين :

((يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ)) ألا فليعلم الذين يخادعون الله أن الله خادعهم ، وأن الصدق والوضوح خير من النفاق والخداع ، وأن الشعوب تعلم حقيقة أمرهم ، وأنهم قد فقدوا مصداقيتهم أمام شعوبهم ، وقد قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : «إنها ستكون أمراء يكذبون ويظلمون ، فمن صدقهم بكذبهم ، وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ، ولا يرد عليّ الحوض ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه ، وسيرد عليّ الحوض» أخرجه الإمام أحمد عن أربعة من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ورضي عنهم ، وهم أبو سعيد الخدري ، وكعب بن عجرة ، والنعمان بن بشير ، وحذيفة بن اليمان.

ولا أظن عصراً تجلى فيه الكذب مثلما تجلى في هذا العصر ، بوسائل إعلامه من إذاعة وتلفاز وصحف ، وغيرها . حتى صار في مقدور هذه الوسائل أن تحول الظلم إلى عدل ، والنهب إلى رجولة وذكاء ، والباطل إلى حق ، والكذب إلى صدق ، والخيانة إلى أمانة ، ولكن هذا كله يبق محصوراً في فئة من الناس وفي مكان محدود ، وفي زمان معين ثم تتكشف الحقائق ولو بعد حين

، فيعود كل شيء إلى أصله ووضع الطبيعي ، ويتصور هؤلاء أن حقيقتهم لن تكشف ، وبواطنهم لن تظهر ، وسرائرهم لن تعلن وقد أخطأوا في هذا الظن وسيقال لهم : ((وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ)) (٢).
 ألا فليعلم هؤلاء المخذلون ممن نسبوا إلى العلم الشرعي ، وحسبوا عليه أن ما هم فيه محض ابتلاء والله ناصر دينه بهم أو بغيرهم :
 ((وَأِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ)) (٣).
 أخرج ابن أبي حاتم وابن جرير من حديث أبي هريرة أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- تلا هذه الآية ، قالوا : يا رسول الله من هؤلاء الذين إن تولينا استبدلوا بنا ، ثم لا يكونوا أمثالنا قال : فضرب بيده على كتف سلمان الفارسي ثم قال : هذا وقومه ، ولو كان الدين عند الثريا لتناولوه رجال من الفرس» قال ابن كثير : تفرد به مسلم بن خالد الزنجي ورواه عنه غير واحد وقد تكلم فيه بعض الأئمة والله أعلم به.
 ألا فليعلم ، ثم ليعلم هؤلاء أن الدين دين الله ، وأنه لا بد غالب والعاقبة للمتقين ، وأن الله هو الذي يختار له أنصاره والمؤمنين به :
 ((ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير)) (٤).
 وأن العاقبة تكون لهم ولمن ناصرهم في الدنيا ، ويوم لا تنفع نصرة ولا شفاعة:
 ((إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالدِّينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ * يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ)) (٥).
 والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

الهوامش :

- ١- غافر ٢٨-٢٩.
- ٢- فصلت ٢٣.
- ٣- محمد ٣٨.
- ٤- فصلت ٢٣.
- ٥- محمد ٣٨.

خدعة الصدام المتعجل

محمد محمد بدري

نرى في الطرقات رجالاً يطاردون مجموعة من الأطفال لأن هؤلاء الأطفال قد نادوهم بألقاب معينة تثيرهم وتخرجهم عن وعيهم واتزانهم، فماذا- تظنون نظرتنا لهؤلاء الرجال؟ إننا نراهم حقاً جديرين بالثناء لأن الأطفال استطاعوا أن يتحكموا في انفعالاتهم !!
 وقد يذهب بعض الناس إلى إنسان يريدون إثارتة فيذمون له رأياً أو يستخفون بشيء من معتقداته حتى تغلي مراحل قلبه فيخرجونه عن سمته وهدية واتزانه .. لماذا ؟ لأنهم كشفوا فيه موضع ضعفه فضغطوا على هذا الموضع ليثيروه ، ولكن لنفرض أن هذا الذي أراد الآخرون إثارتة جاءه من يخبره بقصدهم فماذا ستكون النتيجة ؟ إن أغلب الظن أنه يستطيع بوعيه بقصدهم أن يتماسك أمام لعبتهم فيرجعهم فاشلين !!

وهذا بالضبط هو مقصدنا من هذه الكلمة القصيرة مع إخواننا العاملين للإسلام ، مقصدنا هو محاولة زيادة الوعي بسبيل المجرمين في خدعة جديدة وهي "الصدام المتعجل!!" فما هي تلك الخدعة؟ إن هناك شرذمة تدربوا على استدراج الدعوة الإسلامية وإثارتها ليؤدوا دورهم في الوقت المحدد .. فإذا جاء هذا الوقت ضغط هؤلاء على نقاط الضعف فأثاروها وأخرجوها عن توازنها ، واستدجوها إلى الصدام معهم قبل الإعداد له وقبل وجود القاعدة الإسلامية الواعية ، وعلى إثر هذا الصدام يقوم هؤلاء بضرب العمل الإسلامي ضرباً مؤلماً ، أو يظهرونه في صورة السفيه الذي يجب أن يحجر عليه.

وهكذا تقوم حملة على المسلمين والناس غافلون عن حقيقة المعركة ، وعن كون هؤلاء المجرمون إنما يعملون عداً للإسلام ذاته لا رداً على عمل بعينه؟!!

ولذلك يعتبر الاندفاع في اتجاه الصدام وفقدان الصبر على مواجهة تحديات الأعداء مظهراً من مظاهر الضعف وليس القوة .. والشرع والعقل يفرض على الدعوة الإسلامية في مثل هذه الظروف تقوية الفرصة على العدو حتى لا يحطم الحركة ، مع الالتزام بالصبر والسيطرة على المشاعر والانفعالات والتفكير والتركيز في عمل دائم لصنع القاعدة المسلمة الواعية التي تحمي الدعوة. قد يقول قائل : إن حياة المسلم لا تنفصل عن الابتلاء .. وهذا حق .. وهذا لا يعني أن لا نأخذ حذرنا كما أمرنا عز وجل ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ)) ونخطط في عملنا أخذين في اعتبارنا الاستهداء بنور القرآن الكريم دون إهمال الأسباب المادية حتى لا نسقط ثمرات عملنا الإسلامي قبل أوانها..

فليست القوة بالحماس والانفعال بل بالسعي الدائب للوصول إلى الهدف والتخطيط لذلك وضبط النفس أمام التحديات الخارجية التي تحاول أن تنحرف بالدعوة عن خطتها من خلال الضغوط التي تُمارس ضدها من تشريد وقلق وعدم استقرار..

وقد يقول قائل : وهل نقف مكتوفي الأيدي ونترك الطغاة يفعلون ما يريدون؟! إنهم لا يجدون في السكوت إلا مظهراً من مظاهر الخوف والذعر أمام قوتهم!! ونحن لم نقل أبداً إننا سننسحب ، ولم نقل أننا نريد لينا مع الأعداء يحفظ علينا أرواحنا ، بل نقول إننا نحاول الاستمرار حتى نصل إلى هدفنا بتوازن يحكم إجماعنا كما يحكم إقدامنا ؛ فلا نستسلم لزهو البطولة الانفعالي الذي يدفع الإنسان إلى اتخاذ المواقف من خلال سياسة اللحظة السريعة لا من خلال سياسة النفس الطويل..

فالقوة الحقيقية هي في الصمود أمام التحديات العاطفية . وعدم الوقوع ضحية عقلية الفروسية الفردية.

أما أن نفسح المجال أمام أعدائنا ليثيروا انفعالاتنا ويجرونا إلى مواقف محسوبة عندهم لمصلحتهم أو يدفعونا إلى معارك لم نعد لها ، فهذا هو الضعف الحقيقي بل الصبر في مثل هذه المواقف هو مظهر القوة .. الصبر على تحمل درء الآلام .. والصبر على الإعداد الطويل للمستقبل . والإصلاح لا يتم في ليلة واحدة ، والخير لا يأتي دفعة واحدة ، وسنة الله في خلقه التدرج والنماء وصيحة الحق التي نريد أن تدوي في العالم لابد لها من أطوار تمهد لها .. وواجب. الفئة المستنيرة في مثل هذه الأيام أن تقوم بهذا التمهيد .. وليس هذا التمهيد بالشيء اليسير إنه خطوة في سبيل انتزاع الأمة المسلمة من الوحدة التي وقعت فيها .. وهو عمل طويل وشاق ومجهد ويحتاج إلى تضحيات كبيرة.

منهج أهل السنة في النقد والحكم علماً الآخرين (٣)

هشام بن إسماعيل

«تكلم الكاتب في الحلقات السابقة عن قواعد أهل السنة في النقد وذكر منها : حسن الظن بالمسلم والخوف من الله والعدل في وصف الآخرين . ويتابع في هذه الحلقة بقية القواعد...» البيان

القاعدة السادسة :

العدل في المفاضلة بين الناس :

والأصل في هذه القاعدة قول الله تعالى : ((إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)) [الحجرات ١٣] وقول الرسول صلى الله عليه وسلم- عندما سئل : أي الناس أكرم ؟ قال : «أكرمهم عند الله أتقاهم» (١) والتفضيل بين الناس يكون على وجهين :

١- تفضيل مطلق.

٢- تفضيل مقيد.

أما التفضيل المطلق بين الناس فيكون على أساس التقوى ، وقوة الإيمان - ولنا الظاهر والله يتولى السرائر - فمن ظهر لنا أنه على تقوى أعظم من غيره كان أحب إلينا .
وأما التفضيل المقيد : فهو بحسب قيده، فإن الناس يتفاضلون في أمور ومواهب وقدرات ، فالناس يتفاضلون في العلم ، وفي الذكاء والفهم ، وفي قوة الحفظ ، أو حسن الإدارة والتنظيم ، وأمثال ذلك فهنا المفاضلة تكون بحسب الحاجة إليها ، وهي مفاضلة مقيدة لا علاقة لها بالأفضلية عند الله تعالى وإنما فيما يظهر للناس.

فهذا السهروردي يقول عنه الذهبي : (كان يتوقد نكاه ، إلا أنه قليل الدين) (٢) والأمثلة من ذلك كثير.

وقاعدة السلف - رضوان الله عليهم - أنا لا نقدم إلا من قدمه الله ورسوله ، ولا نؤخر إلا من أخره الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم- . كما ينبغي هنا الإشارة إلى أن أعمال القلوب والتفاضل فيها يرفع أصحابها منازل عليا عند الله تعالى ؛ (فإنك ترى الرجل الفاضل ذا الهمة العالية ، والعمل الدؤوب . في نشر الإسلام ، وكثرة العبادة مع طول عمره ، ثم تجد من هو أقل منه نشاطاً وعملاً ، أو أقصر منه عمراً أحب إلى الله تعالى من الأول).

وأما من جهة كثرة العمل والعبادة ، ومفاضلتها بما في القلب فقد وجد من العباد من اشتهر بكثرة الصلاة والصيام والإنفاق في سبيل الله تعالى ، وملازمة التقوى والخوف من الله تعالى ، كالحسن البصري ، وسعيد بن المسيب ، وسفيان الثوري ، والإمام أحمد وغيرهم ، وهم في أفرادهم بل في مجموعتهم لا يصلون رتبة أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- ، بل الأمة كلها لا تصل إلى رتبة الصديق -رضي الله عنه- لأنه جمع خصائص لم تجتمع لغيره بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

ولذلك ينبغي أن يكون التفضيل بين الأشخاص قائماً على العدل والإنصاف واعتبارات الشرع لا على الهوى والتعصب ، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (ومن سلك طريق الاعتدال عظم من يستحق التعظيم وأحبه ووالاه ، وأعطى الحق حقه ، فيعظم الحق ويرحم الخلق) (٣).

كما أن التفضيل المطلق في كل الأمور يصعب الحكم به في كثير منها ، وذلك لاشتغال كل واحد منهما على فضيلة لا توجد في الآخر فيلجأ حينئذ إلى التفضيل ، لأن التفضيل بدون التفصيل لا يستقيم.

يقول ابن القيم رحمه الله- : (الخلاف في كون عائشة أفضل من فاطمة ، أو فاطمة أفضل ، إذا حُرر محل التفضيل صار وفاقاً ، فالتفضيل بدون التفصيل لا يستقيم ، فإن أريد بالفضل كثرة الثواب عند الله عز وجل فذلك أمر لا يطلع عليه إلا بالنص لأنه بحسب تفاضل أعمال القلوب لا بمجرد أعمال الجوارح ، كم من عاملين أحدهما أكثر عملاً بجوارحه والآخر أرفع درجة منه في الجنة وإن أريد بالتفضيل التفضل بالعلم ، فلا ريب أن عائشة أعلم وأنفع للأمة ، وأدت للأمة من العلم ما لم يؤد غيرها ، واحتاج إليها خاص الأمة وعامتها ، وإن أريد بالتفضيل شرف الأصل وجلالة النسب فلا ريب أن فاطمة أفضل ، فإنها بضعة من النبي صلى الله عليه وسلم- وذلك اختصاص لم يشركها فيه غير إختوتها ، وإن أريد السيادة ففاطمة سيدة نساء الأمة ، وإذا ثبتت وجوه التفضيل وموارد الفضل وأسبابه صار الكلام بعلم وعدل ، وأكثر الناس إذا تكلم في التفضيل لم يفصل جهات الفضل ، ولم يوازن بينها ، فيبخس الحق ، وإن انضاف إلى ذلك نوع تعصب وهوى لمن يفضلته تكلم بالجهل والظلم ، وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن مسائل عديدة من مسائل التفضيل فأجاب فيها بالتفصيل الشافي ؛ فمنها أنه سئل عن تفضيل الغني الشاكر على الفقير الصابر أو العكس ، فأجاب بما يشفي الصدور فقال : أفضلهما أتقاهما الله ، فإن استويا في التقوى استويا في الدرجة .. ومنها أنه سئل عن خديجة وعائشة أمي المؤمنين أيهما أفضل ؟ فأجاب بأن سبق خديجة وتأثيرها في أول الإسلام ، ونصرها وقيامها في الدين لم تشركها فيه عائشة ولا غيرها من أمهات المؤمنين ، وتأثير عائشة في آخر الإسلام وحمل الدين وتبليغه إلى الأمة وإدراكها من العلم ما لم تشركها فيه خديجة ولا غيرها مما تميزت به عن غيرها . فتأمل هذا الجواب الذي لو جئت بغيره من التفضيل مطلقاً لم تخلص من المعارضة .. فعلى المتكلم في هذا الباب :

١- أن يعرف أسباب الفضل أولاً (بتعلم العلم الشرعي من مظانه).

٢- ثم درجاتها ونسبة بعضها إلى بعض والموازنة بينها ثانياً.

٣- ثم نسبتها إلى من قامت به - ثالثاً - كثرة وقوة.

٤- ثم اعتبار تفاوتها بتفاوت محلها رابعاً.

فرب صفة هي كمال لشخص وليست كمالاً لغيره ، بل كمال غيره بسواها ؛ فكمال خالد بن الوليد بشجاعته وحرابه ، وكمال ابن عباس بفقاهه وعلمه ، وكمال أبي ذر بزهده وتجرده عن الدنيا . فهذه أربع مقامات يضطر إليها المتكلم في درجات التفضيل . وتفضيل الأنواع على الأنواع أسهل من تفضيل الأشخاص على الأشخاص ، وأبعد من الهوى والغرض .

وهنا نكتة خفية لا ينتبه لها إلا من بصره الله : وهي أن كثيراً ممن يتكلم في التفضيل يستشعر نسبته وتعلقه بمن يفضله ولو على بعد ، ثم يأخذ في تقريظه وتفضيله ، وتكون تلك النسبة والتعلق مهيجة له على التفضيل ، والمبالغة فيه ، واستقصاء محاسن المفضل ، والإغضاء عما سواها ، ويكون نظره في المفضل عليه بالعكس ومن تأمل كلام أكثر الناس في هذا الباب رأى غالبه غير سالم من هذا ، وهذا مناف لطريقة العلم والعدل التي لا يقبل الله سواها ولا يرضى بغيرها .

ومن هذا التفضيل كثير من أصحاب المذاهب والطرائق وأتباع الشيوخ كل منهم لمذهبه وطريقته أو شيخه ، وكذلك الأنساب والقبائل والمدن والحرف والصناعات ، فإن كان الرجل ممن لا يشك في علمه وورعه خيف عليه من جهة أخرى : وهو أنه يشهد حظه ونفعه المتعلق

بتلك الجهة ، ويغيب عن نفع غيره بسواها ، لأن نفعه مشاهد له أقرب إليه من علمه بنفع غيره ، فيفضل ما كان نفعه وحظه من جهته باعتبار شهوده ذلك وغيبته عن سواه ، فهذه نكت جامعة مختصرة إذا تأملها المنصف عظم انتفاعه بها واستقام له نظره ومناظرته (٤)

القاعدة السابعة

المنهج الصحيح في الحب والبغض :

من المسلمين من يجتمع فيه أمران : أمر من الخير فيحب بسببه ويمدح عليه ، وأمر من الشر فيذم بسببه ويبغض من جهته . وأما الحب والولاء بإطلاق فهو للمؤمنين ، والبغض والبراء بإطلاق - أيضاً - فهو للكافرين ، فإن الحب والبغض من أوثق عرى الإيمان ، كما ثبت ذلك في الأثر (٥) وإنما القاعدة في المسلم الذي يخلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً أنه يحب من جهة عمله للصالحات ، ويمدح لذلك ، ويبغض من جهة عمله للسيئات ، ويذم لذلك .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- : (وإنه كثيراً ما يجتمع في الفعل الواحد ، أو في الشخص الواحد الأمران : فالذم والنهي والعقاب قد يتوجه إلى ما تضمنه أحدهما ، فلا يغفل عما فيه من النوع الآخر ، وقد يمدح الرجل بترك بعض السيئات البدعية الفجورية ، لكن قد يسلب مع ذلك ما حمد به غيره على فعل بعض الحسنات السننية البرية ، فهذا طريق الموازنة والمعادلة ، ومن سلكه كان قائماً بالقسط الذي أنزل الله له الكتاب والميزان (٦)

ويقول في موضع آخر: (ولا منافاة بين أن يكون الشخص الواحد يرحم ويحب من وجه ، ويعذب ويبغض من وجه آخر) (٧)

ويقول الذهبي -رحمه الله- عن أبي جعفر الباقر: (ولقد كان أبو جعفر إماماً مجتهداً ، تالياً لكتاب الله ، كبير الشأن ، لكن لا يبلغ في القرآن درجة ابن كثير (٨) ونحوه ، ولا في الفقه درجة أبي الزناد وربيعه، ولا في الحفظ ومعرفة السنن درجة قتادة وابن شهاب ، فلا نحابيه ، ولا نحيف عليه ، ونحبه في الله لما تجمع فيه من صفات الكمال) (٩).

وينبغي هنا التنبيه إلى أمر مهم، وهو : أن من الناس من يبني الحب والبغض على مدى موافقة الآخرين له، فتجد من يحب فلاناً من الناس لأنه على مذهبه أو طريقته في الدعوة ، أو لأنه ضمن جماعته؟! وأمثال ذلك، وبعض الآخرين إذا خالفوه في رأي فقهي اجتهادي ، أو نظري عملي ، أو ما شابه ذلك ، وهذا كله دليل على اختلال الإيمان في القلب ، لأن هذا الأمر مبني على أوثق عرى الإيمان ، فإن كان محملاً في الواقع، فهو كذلك في القلب .

يقول ابن تيمية -رحمه الله- : (فإن الإنسان عليه أولاً أن يكون أمره الله ، وقصده طاعة الله فيما أمر به ، وهو يحب صلاح المأمور ، أو إقامة الحجة عليه ، فإن فعل ذلك لطلب الرئاسة لنفسه ولطائفته ، وتنقيص غيره ، كان ذلك حمية لا يقبله الله ، وكذلك إذا فعل ذلك لطلب السمعة والرياء كان عمله حابطاً ، ثم إذا رد عليه ذلك وأوذي أو نسب إلى أنه مخطئ و غرضه فاسد ، طلبت نفسه الانتصار لنفسه ، وأتاه الشيطان ، فكان مبدأ عمله الله ، ثم صار له هوى يطلب به أن ينتصر على من آذاه ، وربما اعتدى على ذلك المؤذي .

وهكذا يصيب أصحاب المقالات المختلفة ، إذا كان كل منهم يعتقد أن الحق معه ، وأنه على السنة ، فإن أكثرهم قد صار لهم في ذلك هوى أن ينتصر جاههم أو رياستهم وما نسب إليهم ، لا يقصدون أن تكون كلمة الله هي العليا ، وأن يكون الدين كله لله ، بل يغضبون على من خالفهم ، وإن كان مجتهداً معذوراً لا يغضب الله عليه ، ويرضون عن يوافقهم ، وإن كان جاهلاً سيئ القصد ، ليس له علم ولا حسن قصد ، فيفضي هذا إلى أن يحمدوا من لم يحمده الله ورسوله ، ويذموا من لم يذمه الله ورسوله ، وتصير موالاتهم ومعاداتهم على أهواء نفوسهم لا على دين الله ورسوله .

ومن هنا تنشأ الفتن بين الناس ، قال تعالى : ((وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ))
[الأنفال ٣٩]

فإذا لم يكن الدين كله لله كانت فتنة (١٠) ، وأصل الدين أن يكون الحب لله ، والبغض لله ، والموالاة لله ، والمعادة لله ، والعبادة لله ، والاستعانة بالله ...

وصاحب الهوى يعميه الهوى ويصمه ، فلا يستحضر ما لله ورسوله في ذلك ، ولا يطلبه ، ولا يرضى لرضا الله ورسوله ، ولا يغضب لغضب الله ورسوله ، بل يرضى إذا حصل ما يرضاه بهواه ، ويغضب إذا حصل ما يغضب له بهواه ، ويكون جمع ذلك له شبهة دين : أن الذي يرضى له ويغضب له أنه السنة ، وهو الحق ، وهو الدين ، فإذا قدر أن الذي معه هو الحق المحض دين الإسلام ، ولم يكن قصده أن يكون الدين كله لله ، وأن تكون كلمة الله هي العليا ، بل قصد الحماية لنفسه وطائفته ، أو الرياء ، ليعظم هو ويثنى عليه ، أو فعل ذلك شجاعة وطبعاً ، أو لغرض من الدنيا ، لم يكن لله ، ولم يكن مجاهداً في سبيل الله ، فكيف إذا كان الذي يدعي الحق والسنة كنظيره ، معه حق وباطل ، وسنة وبدعة ، ومع خصمه حق وباطل وسنة وبدعة؟! وهذا حال المختلفين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً ، وكفر بعضهم بعضاً ، وفسق بعضهم بعضاً ، ولهذا قال الله تعالى فيهم : ((وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ * وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ))

الخلاصة :

من خلال ما تقدم على الإنسان أن يتقي الله عز وجل في نقده وألفاظه ، ويخلص النية لله ويتجرد عن الهوى وحظوظ النفس ، ولا يتكلم إلا بعلم وعدل وإنصاف ويقدم حسن الظن بالمسلم ، ويوازن بين المحاسن والمساوئ ، ويجعل لكثرة الحسنات أو قوتها اعتبارها ، ويتذكر أن الشخص الواحد غالباً ما يجتمع فيه أمران ، فيحمد ويحب بسبب أحدهما ، ويذم ويبغض بسبب الآخر ، ثم تكون ألفاظه مهذبة ويبتغي بذلك وجه الله تعالى.

فمن سلك هذا السبيل ، فيرجى له الصواب والسداد ، وعدم التبعة يوم القيامة بما يقول ، ومن أخل بشيء مما سبق . فقد وقف على حفرة من حفر النار فلينظر موقع قدمه أن تزل وهو لا يشعر ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وعلى شباب الدعوة إلى الله أن يستفيدوا من كلام السلف الصالح عند عرض سير أعلام النبلاء فإنهم إذا كان لا بد لهم من الحديث عرضوا ما للشخص وما عليه . وإلا كفوا عن ذلك وشغلتهم عيوبهم عن عيوب غيرهم.

والله أعلم وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد وآله وصحبه.

الهوامش :

- ١- أخرجه البخاري برقم (٣٣٥٣) (٤٦٨٩) ومسلم (٤/١٨٤٦).
- ٢- انظر سير أعلام النبلاء (٢٠٧/٢١).
- ٣- انظر منهاج السنة النبوية (٤/٥٤٣).
- ٤- انظر بدائع الفوائد لابن القيم (٣/١٦١-١٦٤).
- ٥- انظر مسند الإمام أحمد (٤/٢٨٦) ، وحسنه الألباني في السلسلة (١٧٢٨).
- ٦- الفتاوى (١٠ / ٣٦٦).
- ٧- الفتاوى (٥١ / ٢٩٤).

٨- المقصود ابن كثير الذي هو أحد القراء ، وليس ابن كثير صاحب التفسير الذي هو من أقران الذهبي.

٩- انظر سير أعلام النبلاء (٤/٢٠٤).

١٠- منهاج السنة النبوية ٢٥٤/٥-٢٥٦ باختصار.

وقفات مع التحقيق والمحققين

محمد عبد الله آل شاكر

- ١ -

منذ قرون بعيدة أدرك العلماء أهمية تحقيق النصوص وتصحيحها ، و علموا أنها مسؤولية عظيمة تحتاج إلى جهد كبير وإلى دراية ومهارة ، فقال الجاحظ في مقدمة كتاب "الحيوان" : «ولربما أراد مؤلف الكتاب أن يصلح تصحيحاً أو كلمة ساقطة ، فيكون إنشاء عشر ورقات من حر اللفظ وشريف المعنى ، أيسر عليه من إتمام ذلك النقص حتى يردّه إلى موضعه من اتصال الكلام».

ثم دار الزمن دورته ، وجاء أناس يزعمون لأنفسهم التحقيق والضبط والمراجعة ، وقد انقلبت عندهم المفاهيم رأساً على عقب ، وابتدعوا طريقة في التحقيق جديدة ، لم يعرفها السابقون ، ولا يرضى عنها المعاصرون . بل إن عملية التحقيق نفسها أصبحت عند بعضهم "هلوسة" ، كلهم يريد أن يحقق ، كلهم يريد أن يحقق كل شيء ، حتى القرآن الكريم!

ومن عجيب ما وقع في يدي من هذا اللون كتاب بعنوان "دليل آيات العبادات والأحكام الشرعية" جمع وتحقيق زخر الدين شوكة ، عميد كلية الشريعة بالجامعة الأردنية ، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ، طبع جمعية المطابع التعاونية في عمّان. وهو يحتوي على مجموعة من الآيات القرآنية الكريمة مصورة من المصحف ويقابلها ترجمة معانيها بالإنكليزية ، من كتاب «تفسير آيات القرآن الكريم» لمحمد بكتال ، الذي قامت بطبعه رابطة العالم الإسلامي ، عن طريق مكتبها الدائم في هيئة الأمم المتحدة بنيويورك! (انظر صفحة ١ من مقدمة الكتاب).

رأيت هذا الكتاب في معرض للكتاب ، فدعاني ذلك لسؤال صاحب المكتبة مازحاً : هل عندك القرآن الكريم محققاً ؟ وأبدى المسكين تأسفه لعدم وجوده!!

واستكمالاً لما سبق نشره في أعداد سابقة من البيان الغراء ، حول تراثنا وطريقة التعامل معه ، أشير في هذه المقالة إلى بعض الملاحظات ، والله الموفق.

- ٢ -

اضطرب مفهوم التحقيق عند بعض الدارسين الذين استهواهم هذا الاسم ، فغدا التحقيق في عملهم شرحاً لمّتن ، أو حاشية على الشرح ، أو تقريراً على الحاشية ، يستعرض فيه أحدهم قدرته على تتبع كل كلمة في النص وشرحها . ومن أعجب ما رأيت من هذا اللون من التحقيق ما أسميته بـ "التحقيق الأزهري" ، (وللأزهر في نفوسنا مكانة ، فهو مقصد طلاب العلم والعلماء) ، فقد لفت نظري إعلان عن كتاب استهواني موضوعه ، ولي فيه نوع اهتمام ، وهو "تحرير المقال فيما يحلّ ويحرم من بيت المال" للحافظ تقي الدين ، أبي بكر محمد بن محمد البلاطسني ، تحقيق ودراسة : فتح الله محمد غازي الصباغ ، منشورات دار الوفاء بالمنصورة الطبعة الأولى ، ١٤٠٩ هـ .

واستعنت بالله ولم أستكثر الجنيهاً التي دفعتها ثمناً له ، فهو رسالة ماجستير قدمت لكلية الشريعة بالأزهر ، وبإشراف أحد الدكاترة «الذي كان له الفضل في أن يسير البحث في خطواته الصحيحة (ليته كان) حتى وصل إلى الصورة التي عليها الآن» (كما يقول صاحب التحقيق والدراسة ص ١٦) . وتجاوزت المقدمة والدراسة التي بلغت ثمانين صفحة ، ووصلت إلى متن الكتاب نفسه ، وأصبت بصداع ، وأظلمت الدنيا في عيني ، وأسفت على الحال التي وصل إليها التحقيق ... فالمحقق وضع عنوان الكتاب في سطر واحد ، وأمام كل كلمة رقم إحالة ، وفي الهامش شرح لكل كلمة في العنوان : تحرير ... القول ... الحلال ... الحرام ...

واستغرق هذا الجهد ستة وعشرين سطرًا بحرف صغير حتى أتى على شرح العنوان كله في ص (٨٥). وفي الصفحة التالية : تعليقات ثمانية على سطرين اثنين يشرح فيها المحقق لفظ "المقدمة" .. ولماذا بدأ المؤلف بالبسملة والحمدلة ، ثم شرح لمعاني المفردات ! وفي ص (١٣٠) شرح للكلمات الآتية : الباب ، الفصل... الخ

ثم قلبت ورقة واحدة ، فوجدت هذا العنوان : "سبب تأليف الكتاب" وفي الهامش مع الإحالة هكذا : "المحقق" ، (يقصد أن العنوان من عمل المحقق) كثيراً ما تطالعك هذه التعليقة البارعة. وبمناسبة ورود كلمة ، "بدعة" في المقدمة ، بدأ صاحبنا يشرح معناها وأنواعها نقلاً عن الشاطبي والعز بن عبد السلام ، -رحمهما الله تعالى- . وعجبت من هذا الأسلوب في التحقيق أشد العجب، وقلت في نفسي : لا ضير ، فلكل شيخ طريقة، ولشيخنا هذا طريقة أقره عليها المشرف على الرسالة ، ويبدوا أنهما لم يفرقا بين التأليف والشرح والتحقيق . ومن الطريف أن صاحبنا رقم على غلاف الكتاب : "تحقيق ودراسة" وفي آخر الإهداء في ص (٥) التوقيع : "المؤلف" ، فهل هو محقق الكتاب أم المؤلف ؟ أم أن الإهداء من البلاطسني لوالدي المحقق ولكل من يؤمن بالإسلام طريقاً للنجاة؟! وليت صاحبنا اقتصد في عمله ، وقرأ كتاباً في أصول تحقيق النصوص ونشرها إذن لأفاد واستفاد ، وأراح واستراح.

وسار على هذا المنهج في التحقيق آخرون كما نجد في "المنتخب" للحافظ عبد ابن حميد، تحقيق وتعليق أبي عبد الله مصطفى بن العدوي شلباية ، الجزء الأول ، دار الأرقم ، الكويت ، الطبعة الأولى ١٤٥٩ هـ . وأين هذا مما كان يفعله علماءنا في التحقيق وضبط النص ، رغم أنهم لم يتبجحوا بهذه الكلمة التي ابتذلت في أعمال كثير من الناس اليوم ؟ ومن أراد معرفة ذلك فلينظر إلى كتب أدب الطلب ، وليقرأ مقدمة كتاب «إرشاد الساري بشرح البخاري» للقسطلاني ص (٣٩) - (٤١) ، أو مقدمة الملاء علي القاري لكتابه "مراقبة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح"!

- ٣ -

وإذا أردت صورة أخرى من التعامل في "التحقيق والضبط والمراجعة" فستجد أمثلة كثيرة لذلك في الكتب التي أفسدها المحققون والمراجعون الأذعياء ، الذين يضعون أسماءهم على أغلفة هذه الكتب المظلومة المفترى عليها باسم التحقيق ، وقد شحنوها بالأخطاء الفاحشة والنقص والسقط ، ولم يقابلوا نسخها المخطوطة ، وهي قريبة منهم وفي متناول أيديهم ولم يكفوا أنفسهم عناء القراءة المتأنية للكتاب ، ولم يصححوا فيه خطأ ، أو يضعوا عليه تعليقا مفيداً ، أو أن يصنعوا له الفهارس التي تيسر الإفادة من الكتاب.

ولكي لا نكون ممن يلقي الكلام على عواهنه ، نأخذ مثلاً على ذلك ، وهو كتاب "قواعد الأحكام في مصالح الأنام" للعز بن عبد السلام -رحمه الله- ، الذي نشرته مكتبة الكليات الأزهرية من حوالي عشرين سنة ، نشرة سقيمة سيئة جداً ، ثم أعادت نشره بطبعة جديدة "مضبوظة منقحة"

(هكذا زعم الناشر أو المحقق) في شهر صفر عام (١٣٨٨) هـ ، راجعه وعلق عليه : طه عبد الرؤوف سعد.

وهذا الكتاب النفيس وأمثاله له مكانة في نفسي ، وتستهويني قراءته التي أشعر بلذتها ، ويعكر علي هذا أنني أقف عاجزاً عن فهم كثير من المواطن في الكتاب.. واتهمت نفسي وفهمي ، وأحسنت الظن بغيري ، إلى أن حصلت على صورة من النسخة الخطية المحفوظة بالمكتبة الأزهرية (وهي على بعد أمتار من ناشر الكتاب!) وأخرى من مكتبة الحرم المكي ، وثالثة من دار الكتب المصرية بالقاهرة . ورجعت إلى بعض النصوص التي كنت بحاجة إليها ، فهالني ما رأيت، عندما قابلت المطبوع بالمخطوط ، فلم أجد صفحة واحدة ، بل مقطعاً واحداً ، وأحياناً سطرأ واحداً في صفحة ، خالياً من الأخطاء والتصحيقات والنقص ، حتى ليكاد النقض في المطبوع يربو على عشر ورقات ذات وجهين ، ومثاله في الجزء الثاني ص (٢٧) ، ويقابله في النسخة الخطية المكية الورقة (١٧٩) وما بعدها.

وحتى التعليقات على الكتاب ، وعددها لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة في كتاب يزيد عن الخمسمائة صفحة ، هذه التعليقات مسروقة عن الطبعة الأولى (المكتبة الحسينية ، ١٣٥٣ هـ) المأخوذة أو المقابلة على نسخة الشنقيطي ، وهي الطبعة التي اعتمدها محقق الكتاب ، ونشرها من جديد بنصها وفصها ، دون أن يشير إلى ذلك . فما أدري ، ما الذي بقي من جهد أو عمل لهذا المحقق المحترم؟! وليت شعري ، كيف يثق القارئ - بعد ذلك - بهذه الكتب التي أخرجها ، أو أخرجت باسمه ، وقد يقع الكتاب منها في مجلدات ذوات عدد مثل : «الروض الأنف» بشرح سيرة ابن هشام للسهيلي ، وهو من أعظم شروح السيرة وأدقها وأكثرها فوائد ، و«تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام» لابن فرحون ، وهو عمدة الدارسين في القضاء والسياسة الشرعية ، و«القواعد الكبرى» لابن رجب الحنبلي ، وغيرها . فلا بد من إعادة النظر في طبعاتها كلها.

- ٤ -

وعلى هذا النهج من التحقيق يسر الدكتور الطبيب (!) عبد المعطي أمين قلجعي ، في تحقيقاته المزعومة ، كتحيقه لكتاب الحازمي «الاعتبار في النسخ والمنسوخ من الآثار» دار الوعي بحلب ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٤٠٣ هـ . وإن تعجب من تحقيقه ، فعجبك أكثر من تخريجه للحديث! والطبيب المحقق هذا ، يبدو أنه يستحل جهود الآخرين وأتعابهم ، فيأخذ منهم كتباً ليطلعها لهم ، أو يكلفهم بالعمل على تحقيقها بالاشتراك ثم يطبعها باسمه وحده ، وقد حدثني بذلك أحد كبار أساتذة الأزهر ، فقد وقع هو في أحابيله ، وجراه على ذلك كبر سن الشيخ وعدم قدرته على متابعة الطبيب المحقق!

وأما تحقيقات «محمد صادق قمحاوي» عضو لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف ، والمدرس بالأزهر الشريف ، (كما هو مثبت على صفحة العنوان لكتاب "أحكام القرآن" لأبي بكر الجصاص ، طبعة دار المصحف بالقاهرة ، الطبعة الثانية).. وهذه التحقيقات ، طراز آخر من التحقيق ، لا تجد فيه ضبطاً لكلمة ، ولا شرحاً لمصطلح ، ولا تعليقا على رأي مثلاً ، ولا توثيقاً لنص ولا تخريجاً لحديث ، بل ولا تجد علامة من علامات الترقيم ، ولا إخراجاً فنياً يساعد القراء على القراءة والفهم حتى إنه ليصعب عليك أن تميز الآية التي يستشهد بها المؤلف عن الآية التي يشرحها ، وقد بذل على الكتاب والقارئ باسم السورة إلى يفسرها المؤلف . أما صنع الفهارس المتنوعة للكتاب فهذا أبعد من نجوم السماء وكأنه بدعة ضلالة!

ولئلا نبخس الرجل أو نهضمه حقه ، فإن جهده - ولعله جهد المطبعة - يتمثل في أنه أخرج الكتاب في خمس مجلدات بدلاً من الثلاثة في طبعة الأستانة . ووجدت له كذلك تعليقيين في الجزء الأول من الكتاب ، أحدهما في الصفحة الخامسة ، يقول فيها : «المراد بهذه المقدمة التي ذكرها المصنف - الكتاب الذي ألفه في أصول الفقه» . وفي ص (٣٠) عند قول المؤلف عن نافقائه اليربوع : «لأن له أجرة يدخل بعضها عند الطلب...» قال المحقق: «هكذا في النسخ التي بأيدينا ، وصوابه جِـرَة» (بكسر الجيم المعجمة وفتح الحاء) وكفى الله المؤمنين القتال! وكفى الله القارئين الجهد والتعب!

إدارة

الهدوء وضبط النفس سمة القيادة الناجحة

سامي سلمان

أقصد بالقائد الشخصية القادرة على اختيار الرجال، وفرض احترامه عليهم ، والحصول على محبتهم ومعرفة إمكاناتهم واستغلالها ، ووضع كل منهم في المكان الذي يلائمه، وبث فكرة القوة والمساواة بينهم ، وتوزيع المسؤوليات عليهم ، وإشراكهم جميعاً في خدمة هدفٍ سامٍ على أن يتمثل فيه إيمان جاد بالمهمة التي يقوم بها.

وسوف أشير هنا إلى عنصر واحد من عناصر سمات القيادة الناجحة وهو الهدوء وضبط النفس ، وهي صفة جليلة في رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في جميع أحواله ، إن الهدوء وضبط النفس موهبة فطرية وسمة خلقية تكتسب كذلك ، ولا بأس بذكر موقفين له -صلى الله عليه وسلم- تتبين فيهما هذه الصفة:

أولاً : في معركة حنين عندما فوجئ المسلمون بهجوم قوي من الكفار (هوازن ومن معها) وفر من فر ممن أسلم بعد الفتح ، وتراجع المسلمون عشوائياً ، في هذه اللحظات الحرجة والصعبة كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ثابت الجأش هادئ الأعصاب يقول : أيها الناس هلموا إلي أنا رسول الله ، أنا محمد بن عبد الله ، ويقول لعمة العباس : ناد أصحاب الشجرة ، وبفضل الله ثم بفضل هذا الثبات من الرسول -صلى الله عليه وسلم- أب المسلمون إليه ورجعوا يتجمعون حوله وانتصروا بعدئذ بإذن الله.

هذا الموقف يحتاج إلى تأمل ، ففيه الشجاعة وحسن التصرف ، وفيه هدوء النفس وعدم الهيجان ، وفيه التوازن مع ما في الحدث من شدة انعكست على الألوف ممن سار في الجيش ، يذكرني هذا الهدوء من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بقول أحدهم : «لكي يحافظ القائد على هدوئه ، عليه أن يعتاد على معالجة الأمور المفجعة وكأنها عادية ، بدلاً من معالجة الأمور العادية وكأنها فواجع» (١) ، ويقول كذلك : «على القائد الذي يود أن يكون أهلاً للقيادة أن يبدأ بقيادة نفسه ولا يمكن لمن لا يسيطر على نفسه أن يسيطر على الآخرين» (٢).

إن استقبال أي حدث مهما كانت درجة عظمتها بهدوء وضبط نفس . يمكّن المسؤول والقائد من عدة أمور منها :

أولاً : استيعاب الحدث بمعرفة حجمه الحقيقي ، فكم من موقف استقبلناه بشدة وغلظة بينما هو أبسط وأصغر من أن يواجه ويستعد له على حساب أمور أخرى- والعكس صحيح فكم من حدث ظهر لنا

بسيطاً فلم يحسب له أي حساب فلما تبين لنا أنه كبير ويحتاج إلى موقف سريع منا لم نتمكن من استيعابه ، ففي كلا الحالتين ضبط النفس وهدوءها يعين القائد على دراسة حجم الأحداث .

ثانياً : استيعاب الحدث بمعرفة مسبباته ، الأسباب التي من شأنها أن تؤدي إلى وقوع الحدث يعين على معرفة أفضل المواقف التي ينبغي اتخاذها .

ثالثاً : استيعاب الحدث بمعرفة أبعاده المستقبلية ، فما من حدث إلا وله ما وراءه ، والهدوء وضبط النفس مما يعين القائد على الاستعداد لمواجهة بعقلية الواعي لما يدور حوله . فبمثل هذه الأمور الثلاثة وغيرها يوحي القائد والرئيس والمسؤول للآخرين ممن حوله أنه متمكن من الموقف وممسك بزمامه فلا يظهر عليه الخوف والارتباك ، فالقائد الحقيقي هو الذي لا يعرف الخوف ويتقن إخفاؤه عندما يشعر به . ليوحي لمروسيه بأنه دائماً أصلب من الخطر . فإن تجنّب ردود الفعل العصبية وكبح جماح نفسه واستقبال المتاعب بروح مرحة ، وتقبل المخاطر بصبر ، طمأن بهدوئه مروسيه ودفع عنهم الهلع الذي يعتبر في الأزمات أكبر الأخطار .

يقول (كورتوا): (ينظر المرؤوسون في ساعات الخطر غريزياً إلى وجه رئيسهم ، فإذا اكتشفوا لديه قلقاً أو توتراً عصبياً، انتشر هذا الشعور بينهم بسرعة تزداد بمقدار ما يكون هذا الرئيس محبوباً وموثوقاً). (٣)

وحتى لا يظن القارئ أن الحاجة إلى مثل هذه السمة قاصرة على المعارك مثلاً نسوق هنا موقفاً آخر لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، ففي غزوة حنين نفسها غنم المسلمون غنائم كثيرة جداً ، فأعطى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من هذه الغنائم أعطيات كبيرة للمؤلفة قلوبهم من أهل مكة وبعض زعماء الأعراب ، فوجد الأنصار في أنفسهم شيئاً لأن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لم يعطهم ، وظنوا أنه قسمه في قومه، فجمعهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في مكان وخاطبهم قائلاً : «يا معشر الأنصار ، مقالة بلغتني عنكم ، وموجدة وجدتموها علي في أنفسكم ، ألم أتكم ضللاً فهداكم الله ، وعالة فأغنكم الله ، وأعداء فألف الله بين قلوبكم ؟ قالوا : بلى ، لله ولرسوله المن والفضل!

ثم قال: ألا تجيبونني يا معشر الأنصار ؟ قالوا : بماذا نجيبك يا رسول الله ؟ لله ولرسوله المن والفضل . قال -صلى الله عليه وسلم- : «أما والله لو شئتم لقلتم ، فاصدقتم ولصدقكم : أتيناك مُكذِّباً فصدقناك ، ومخدولاً فنصرناك ، وطريداً فأويناك ، وعائلاً فأسيناك . أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم ! ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ؟ فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار ، ولو سلك الناس شعباً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار ! اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار .

قال : فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم ، وقالوا: رضينا برسول الله قسماً وحظاً . ثم انصرف رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وتفرقوا(٤)

وأنقلك أخي القارئ إلى مظهر أحد الرؤساء وهو في حالة ضيق وهيجان وعصبية عندما نُقل له تدمر أحد مروسيه أو جماعة منهم على تصرف أو تصريح بدر منه فما كان منه إلا أن أصدر قراره العاجل بالحكم عليهم بسوء الفهم وقلة الإدراك وبدا يخطط لتأديبهم بالسبل المختلفة . وأنا أطلب القارئ أن يقارن بين هذا الموقف الذي اتخذته هذا الرئيس وبين موقف رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الذي يظهر فيه الهدوء وضبط النفس الذي مكنه من استيعاب الموقف خير استيعاب . ولنمضي جميعاً ونحلل موقف هذا الرئيس فنسأله :

١- هل راجعت نفسك في صحة ما بدر منك من عدمه؟

٢- هل تأكدت من صدق ما نقل لك ومدى دقة هذا النقل؟

٣- هل فكرت في سبب تدمير مرؤوسيك مما بدى منك؟.

٤- هل فكرت في أفضل السبل لإيجاد حل للموقف؟

٥- هل هناك مضاعفات للموقف تحتاج أن تلم بها؟

وسوف تجد أن الذي لم يتحلَّ بالهدوء وضبط النفس لن يتمكن من سؤال نفسه مثل هذه الأسئلة بل ينساق وراء ما تمليه عليه نفسه المضطربة من وقع الموقف . وما أجمل ما قاله أحد الخبراء : « لا يتأثر الرئيس الفعَّال لأن شخصاً خالفه أو انتقد رأيه بل يعتبر هذا الشخص عنصراً جديداً من عناصر المعضلة الواجب حلها».

ومما تقدم يبرز أثر انعدام صفة الهدوء والقدرة على ضبط النفس من سلبيات وخيمة في ميزان القيادة الحكيمة وإن من المسلمات في علم الإدارة أنه لا يمكن لرئيس عصبي سريع الانفعال أن يقوم بمهمته الأساسية وبشكل مشوق وهو في الحقيقة مثال للقلق والرعونة ، تلك الأمور التي عليه أن يحاربها لدى الآخرين.

يقول صاحب كتاب فن القيادة : «يوحى الهدوء بأن صاحبه ذو إرادة لا تتحول عن هدفها وتسبب نظرة الرئيس الهادئة العميقة شعوراً من القلق لدى المشاغبيين ومثيري المشاكل من المرؤوسين ، وإحساساً غريزياً بأنهم أمام قوة لا تقهر».

الهوامش :

١- لمحات في فن القيادة ج. كورتوا الطبعة الثالثة ١٩٨٦م.

٢- المصدر السابق.

٣- المصدر السابق.

٤- السيرة النبوية لابن هشام ، دار القلم الجزء الرابع ص ٨٥.

أخلاق

شروع الأخلاق النفعية

في العصر الحديث

محمد الناصر

إن ظاهرة الأخلاق النفعية أضحت أمراً مقلقاً ولاقفاً للنظر في هذا العصر .. وقد أدت إلى نتائج خطيرة في التعامل بين الأفراد والجماعات .. بل أصبح المرء يصاب بإحباط شديد وخيبة مريرة لما يجده من ازدواجية عند صنف من الناس ، وتزداد الغرابة عندما نلمس ذلك عند بعض من يتخذون ظاهرة التورع والتدين وسيلة لمأربهم الخاصة ...

وبعد أن يضمحل أثر الإيمان في النفوس ، يستمد الناس قيمهم في التعامل من الهوى والمصلحة الشخصية ، بل تصبح هذه المصلحة هي الشاغل الأول للأمثال هؤلاء ، ومن هنا فلا يرجى من أعمالهم خير مهما تلبسوا بالصلاح ، لأن الإخلاص والتجرد لله من أعظم خصائص هذا الدين ، قال تعالى: ((وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءً)) [البينة ٥]. ويقول -صلى الله عليه وسلم- : «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى» متفق عليه.

ويقول ابن تيمية -رحمه الله- في هذا المجال : «والأعمال الظاهرة لا تكون صالحة مقبولة إلا بتوسط عمل القلب ، فإن القلب ملك والأعضاء جنوده... ولهذا قال -صلى الله عليه وسلم- : «ألا

وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ؟ ألا وهي القلب» (١).

فالإخلاص يبعث في نفس المؤمن كريم البواعث ، فيعمل جاهداً على إشاعة الخير والتعاون والعدل بين الناس . إلا أن هذه النزعة ، نزعة الأنانية والنفعية غزت مجتمعاتنا بعد أن سادت أخلاق الغربيين من خلال غزوهم الفكري لبلادنا.

سيادة الأخلاق النفعية في ديار الغرب :

لقد غزت فلسفة الغربيين مجتمعاتنا المسلمة ، ويرى أصحاب هذه الفلسفة (النفعية) أن السعادة الحققة هي التي يشعر بها الإنسان نتيجة لإشباع دوافعه الطبيعية وغرائزه الحسية دون التقيد بدين أو خلق قويم.

«وأصبحت الأخلاق الحديثة تُستمد من القيم المادية النفعية تحدوها ميكافيلية صريحة ، وأضحى التعامل الاجتماعي قائماً على رابطة المصلحة وحدها ، على الأخلاق التجارية.

لقد كفرت أوروبا بالدين والأخلاق ، ونبذ المجتمع كل مقوماته المستمدة من هذين الاتجاهين» (٢).

تطور هذا الاتجاه النفعي في أوروبا وأمريكا ، وأخذ صوراً مختلفة ، يمكن إيجازها في ثلاثة مذاهب (٣). لعل ذلك يوضح لنا ما نحن في صده ، وأثر هذه الأخلاق في سياسة القوم.

المذهب الأول : مذهب المنفعة الشخصية ، وله صورتان :

صورة دعا إليها أحد تلامذة سقراط «أرستوبوس» وقد فسر السعادة لدى أستاذه بالذات العاجلة بدلاً من الآجلة ، وأن إشباع الدوافع في حينها أمر ضروري لأن تأخيرها يؤدي إلى الشعور بالحرمان والكآبة، فلا حياء ولا خجل في طلب الذات في أية صورة كانت ، ويعتبرون أن السلوك الذي يحقق هذه السعادة سلوك أخلاقي.

والصورة الأخرى : تتمثل في الفردية التي دعا إليها «هوبز» ومن سلك مسلكه ، فقد ادعى أن الطبيعة الإنسانية طبيعة أنانية تعمل لمصلحة الذات ، وقد اخترع الإنسان المبادئ الأخلاقية ليتخذها وسيلة يحقق فيها منفعته الشخصية.

ومن هنا يرى أن الأخلاق ما هي إلا وسيلة لتحقيق المنفعة وليست طبيعة في الإنسان.

المذهب الثاني : مذهب المنفعة العامة.

قال أصحابه : على الإنسان أن ينشد منفعة البشر عامة حتى الحيوانات ، واعتبروا أن إقرار المنفعة غاية للأفعال الإنسانية ، ومعيار للأخلاق ، وتقاس أخلاقية الفعل بنتائجها لا ببواعثها.

المذهب الثالث : مذهب النفعية العملية «المذهب البراغماتي» ويمثله جون ديوي ، ويهتم البراغماتي عادة بماله من قيمة معنوية.

والخطورة في هذا المذهب أن ديوي أرجع المثل الأخلاقية إلى نتائج الظروف الواقعية للإنسان، فهي ليست مبادئ مطلقة ثابتة يضعها الفلاسفة، كما أنها ليست من وضع المجتمع ، ولا من وضع السماء.

ثم أنكروا أن تكون للأخلاق غاية عليا سامية وثابتة ، وأن لها مبادئ مطلقة لا تقبل التغيير، ذلك لأن الحياة متطورة (٤).

لقد سيطرت هذه الفلسفة بمذاهبها المختلفة على أخلاق الناس والحكومات في أوروبا بقسميها وفي أمريكا ، فاهتزت الأخلاق واضطربت الموازين ، وسيطرت المنفعة والأنانية، وتحول الناس إلى ذئاب بشرية ، ومن ثم طغت الروح الرومانية والفلسفة الإغريقية على أوروبا من جديد.

وصارت بعض القيم، كالصدق والأمانة والاستقامة مثلاً لا تطبق إلا في حدود القومية ومصصلحة البلاد على أساس ما تجلبه من النفع لحاملها ، وتبطل إذا بطلت المنفعة القريبة أو البعيدة. وهاهي المواثيق تعقد وتوثق ، وفي لحظة غادرة تنقض وتصبح حبراً على ورق مجرد أن تلوح المصلحة القومية في نقض الميثاق. ويمر الناس بهذا الأمر غير مباليين ، لأن النظرية شيء والتطبيق شيء آخر بموجب فلسفة الجاهلية اليونانية (٥).

وقد عانت أمتنا من هذه الأخلاق الأمرين خلال الاستعمار القديم وأثناء التعامل المعاصر من ازدواجية مريرة في قرارات الأمم وما يسمى بمجلس أمنها. «إن السياسة لا تتفق مع الأخلاق في شيء ، والحاكم المقيد بالأخلاق ليس بسياسي بارع ، وهو لذلك غير راسخ على عرشه» (٦).

هذا ما ينصح به أشرار اليهود في خطتهم . وهذا ما يفسر لنا سياسة المستعمرين. «كان الاستعمار يتوسل بكل سفالات الأرض ليوطد سلطانه ، ويمتص دماء الناس ، ولا يرى في ذلك انحرافاً فالغاية تبرر الوسيلة ، ولا يهم عندهم أن تكون الغاية ذاتها نظيفة» (٧). وهذا ما أشار إليه الشاعر العربي إذ يقول :

قتل امرئ في غابة جريمة لا تغتفر

وقتل شعب أمن مسألة فيها نظر

ورغم ذلك كله فقد فتن بعض المسلمين في القرن الحالي بحضارة أوربا وظنوا أنها ذات ركائز تصلح لأن يُفتدى بها ، ونسي كثير منهم أن يميزوا بين التقدم المادي والتخلف العقدي والأخلاقي ، ففتنوا ببعض ما يبدو من صدق وأمانة حيناً ، لأنها عند القوم تؤمن لهم ثقة ووقتاً ، إلا أن أخلاقهم هذه ستتغير إذا لاحت منفعة أشد ، ومصصلحة أقوى.

فالأخلاق النفعية سمة بارزة من سمات الجاهلية المعاصرة ، بينما كان للعرب في جاهليتهم بعض الترفع والإيثار كإغاثة الملهوف ونجدة الصريخ والذب عن حرمان الجيران.

الغاية لا تبرر الوسيلة :

هذا مبدأ إسلامي أصيل ، إذ لا بد أن تكون الوسائل الأخلاقية سامية كالغايات تماماً ولا بد أن يكون العمل خالصاً وصواباً حتى يتقبل ، ولهذا قال الأصوليون : الغاية لا تبرر الوسيلة ، واتخذوا ذلك قاعدة تشريعية مستدلين بقوله تعالى :

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)) [المائدة: ٣٥]

فالآية ترسم طريق الفلاح بأن يتقي المسلم ربه بترك المحرمات وأن يتقرب إليه تعالى بأداء الواجبات والتمسك بالقيم الأخلاقية ، ولا يمكن التقرب إليه بالمحرمات. (٨)

نتائج وملاحظات :

١- المعروف أن المجتمعات الإسلامية تتميز بالمحبة والتآخي والإخلاص ، ومقاومة الأهواء. وأن الإيثار والتضحية والشهامة من أخص أخلاق العرب في جاهليتهم وإسلامهم .. وأن الأنانية والنفعية أخلاق وافدة على أمتنا قد غزتها بعد أن ضعف وازع العقيدة ودواعي الإخلاص.

٢- النفعية أخلاق غربية بنيت على مذاهب فلسفية تنسجم مع تطلعات أصحابها ومعتقداتهم وتصوراتهم عن الحياة والإنسان ، وهي أخلاق دخيلة غريبة على أمتنا.

٣- لا بد للمربين والدعاة إلى الله أن يهتموا بمعالجة هذه الظاهرة من خلال التربية والتوجيه ؛ بإبراز النماذج الرائدة عند سلف هذه الأمة ، وأن يضرب الدعاة والمربون من واقع حياتهم أمثلة صادقة بالمعايشة والقودة الحسنة.

٤- إن النفعيين والانتهازيين خطرهم جسيم ، في المؤسسات التجارية والعلمية والدعوية، لأنهم سيتجاوزون كل القيم في سبيل مطامعهم وطموحاتهم ، ومن تمعن في أحداث التاريخ أسعفته الشواهد ، والعاقل من اتعظ بغيره ، والحذر يجنب صاحبه المزالق والندم قبل فوات الأوان.

٥- لابد أن يتميز الداعية إلى الله ، والمربي الجاد بصفات الإيثار والتضحية وكرم النفس بعيداً عن الجشع والمراوغة والاحتتيال ، عسى أن يساهم في البناء العقدي والأخلاقي المتماسك لهذه الأمة بإذنه تعالى.

الهوامش :

- ١- الفتاوى ١١/٣٨١
- ٢- اعلمانية د. سفر الحوالي ص ٤١٠
- ٣- انظر.الاتجاه النفعي : من كتاب الاتجاه الأخلاق في الإسلام د. مقداد يالجن ص ٢٧-٣٩
- ٤- تجديد الفلسفة : جون ديوي ص ٢٧٣ نقلاً عن الاتجاه الأخلاقي في الإسلام مقداد يالجن.
- ٥- جاهلية القرن العشرين : الأستاذ محمد قطب ص ١٥٩-١٦٢.
- ٦- بروتكولات حكماء صهيون : البروتوكول الأول ص ٣٢ ط ٢.
- ٧- جاهلية القرن العشرين ص ١٥٣
- ٨- الاتجاه الأخلاقي في الإسلام : مقداد يالجن ٢٩٦.

البيان الأدبي

دور المرأة في القصة والرواية

د. عبد الله الخلف

ما الدور الذي يمكن أن تمثله المرأة في القصة القصيرة أو الرواية ؟ وهل من الضروري أن يسند إليها دور معين فيها؟

إن القصة قصيرة كانت أو طويلة لا بد أن ترتبط بواقع الحياة بصورة ما ، والمرأة تمثل دوراً هاماً وأساسياً في حياة البشر ، لذلك كان من الطبيعي أن يكون لها مكانها الذي تمثله في هذا العمل الأدبي.

وإذا نظرنا في قصص القرآن الكريم فسوف نجد من بين شخصياتها عدداً من الشخصيات النسائية . فأم موسى قامت بدور الأم المؤمنة المستسلمة لقضاء ربها . ومثلت امرأة فرعون دور المؤمنة الصابرة على الأذى في سبيل الله . ومثلت امرأة العزيز دور المرأة الفتنة التي يمكن أن يتعرض المؤمن للامتحان بها . ومثلت حواء بالمشاركة مع آدم -عليها السلام- دور الإنسان عندما يتعرض للابتلاء ولإغواء الشيطان فينهزم أمامه ، ثم يدرك أنه لا ملجأ من الله إلا إليه فيعود إليه تائباً منيباً . وقد ورد ذكر نساء أخريات أو تمت الإشارة إليهن في بعض قصص القرآن . وهكذا نجد أن المرأة كانت حاضرة في ذلك القصص ، وهو أمر يدل على أن لها مكانها ودورها الهام الذي يمكن أن تقوم به في القصة.

وإذا ما نظرنا إلى الأعمال الروائية في العصر الحديث فسنجد أن المرأة دخلتها من أوسع أبوابها ، واحتلت مكاناً بارزاً فيها ، غير أن الكثير من كتاب الرواية قد أدخلوا المرأة في أعمالهم لا بوصفها عنصراً فنياً تقتضيه الضرورة الفنية للعمل الأدبي ، بل بوصفها عنصراً يساعد على جذب القارئ وشد انتباهه لمتابعة الأحداث ، أو لإغرائه باقتناء الرواية وقراءتها ، وكأنهم يلتقون في ذلك مع

شركات الدعاية والإعلان ، التي تظهر المرأة في إعلاناتها ، ولو لم يكن لها أي صلة بالمادة المعلن عنها ، مستغلة إياها في جذب المشاهد ومداعبة غرائزه . لذلك نجد الدور البارز الذي لعبته المرأة في تلك الروايات يدور حول العلاقات الغرامية أو الجنسية المثيرة .
وإذا كان هناك عدد كبير جداً من كتاب الرواية قد أسندوا إلى المرأة مثل هذه الأدوار ، فإن منطلقاتهم لم تكن دائماً واحدة . فمنهم من كان قصده إشاعة الفساد والانحلال من غير أن ينظر إلى مدى أهمية ما قام به من الناحية الفنية .

ومنهم من هو متأثر بالأراء والنظريات والدراسات النفسية الحديثة ولا سيما نظريات فرويد التي تعطي الجنس الأهمية الكبرى في حياة البشر ، وترى أنه المؤثر الأعظم في سلوكهم .
ومنهم من يشعر بضعف القيمة الفنية لعمله ، ويدرك أنه لا يستطيع اجتذاب القراء ، فيجعل في تناوله لهذا الجانب وسيلة لاجتذابهم وشركاً يصطادهم به .

ونتيجة لشيوع إسناد مثل هذه الأدوار إلى المرأة في القصة الحديثة ظن البعض أن ذلك مقوم من مقوماتها وعامل فعال من عوامل نجاحها ، وشرط أساسي لبلوغها المستوى المطلوب . وظنوا أنه لا غنى للكاتب ولا مفر له من أن يضمن قصصه شيئاً من ذلك ، وإلا فقد عمله قدراً كبيراً من قيمته وجاذبيته .

ويبدو أن هذا الظن تسرب إلى بعض كتاب القصة من ذوي الاتجاه الإسلامي ، فأسندوا إلى المرأة أدواراً غرامية ، وأصبح الهيكل العام لبعض رواياتهم قائماً على أساس وجود هذه العلاقة بين بطل القصة وبطلتها ، دون أن يكون لهذا مغزى جوهري أو قيمة فنية ، نجد مثل ذلك عند نجيب الكيلاني ، وعلي أحمد باكثير .

وإذا كان هذا الأسلوب قد أدى إلى جذب بعض القراء فإنه أدى أيضاً إلى نفور طائفة أخرى . وهو أسلوب لا يخلو من آثار سلبية ونتائج عكسية .

أما الظن بأن إسناد مثل هذه الأدوار إلى المرأة تقتضيه الضرورة الفنية فإنه ظنٌ بعيد عن الصواب ، وهناك من الروايات ما نال الإعجاب الكبير ، ونال به صاحبه شهرة واسعة على الرغم من خلوه من النموذج النسائي . فرواية الشيخ والبحر للأديب الأمريكي أرنست همنجواي من أشهر الروايات ، وترجمت إلى كثير من اللغات ، ونال عليها صاحبها جائزة نوبل للآداب مع أنه ليس من بين شخصياتها أي شخصية نسائية . وهي رواية تبرز قيمة العمل والكفاح والمثابرة والاعتماد على الذات .

ومن الروايات المشهورة رواية الطاعون للأديب الفرنسي ألبير كامو الحائز على جائزة نوبل ، وهي أيضاً تخلو من الحديث عن الحب والغرام وأبرز الشخصيات النسائية فيها لعبت دور الأم .
لذلك يمكننا القول بأن القيمة الفنية للعمل الأدبي لا تتوقف على نوع الأحداث أو الشخصيات ، إذ أن الكاتب القدير يستطيع أن يحول أحداثاً بسيطة وشخصيات مألوفة إلى عمل فني جميل قادر على أن يحوز على إعجاب النقاد ، ويترك أعماق الأثر في نفوس قرائه .

شعر

جزائر الخير

د. عبد الرحمن صالح العشماوي

جزائر الخير... أين الرائح الغادي أين «ابن باديس» أين الغصن والشادي

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

جزائر الخير ... تاه اللحن في شفتي
 ووثق الحزن في قلبي روابطه
 جزائر الخير ... لا ظل ولا ثمر
 تصحرت أرض أحلامي ، فقاقتي
 نام الخليون في أحضان رغبتهم
 نخشى على أمة الإسلام حين نرى
 نخشى من الراكبين الوهم ، ما قطعوا
 تعمى بصائرهم عن كل منحرف
 ما بهم سلبوا عينيك نورهما
 ما بهم جعلوا الأبواب مشرعة
 ما بهم جعلوا «باريس» قدوتهم
 ما للصحافة تجري في أعنتها
 ما بالها لا ترى إلا الظلام ولا
 جزائر الخير ما بال الربيع شكا
 مالي أرى تلمسان الحب واجمة
 تدفق النور من كفيك أفزعهم
 وأبصروا من شباب الحق همته
 فاستوقفوك على أبواب حيرتهم
 تسعين في طرق الإيمان جاهدة
 وتنشدين لنور الفجر أغنية
 وهم يغنون ألحان الضياع وقد
 جزائر الخير ما هانت روابطنا
 ولا خدعنا بأقوال ملفقة
 بين المشاعر جسر من عقيدتنا
 ما زلت أنكر مليوناً ، جماهم
 روت دماؤهم الأرض التي كسرت
 جزائر الخير ، هذا نهر صوتنا زال ينبع من قاف ومن صاد
 ما زال يجلسنا من كل منقصة
 غداً - بإذن إله العرش - سوف نرى
 وسوف نمسح عن أجفان أمتنا خلف الدمع من آثار إجهاد
 جزائر الخير ، إنني سوف أعلنها صريحة ذات إبراق وإرعاد
 الظالمون سواءً كيفما اختلفت أوصافهم ، كلهم «جزائر بغداد»
 تعددت رتب الأقسام واختلفوا وجمعت بينهم أوصاف جلا
 هذا ندائي فيا دنيا اسمعي وخذي وبلغني ، وافهمي معناه وازدادي:
 يا ساسة القمع : هذا صوت أمتنا يقول : لا تقتلوا بالظلم أولادي

أين الكعبة

أبو سهل البخاري

وأنا أسير في ساحة الحرم متجهاً إلى الكعبة ، سمعت صوتاً ينادي (حاجي ، حاجي !!!) فالتفت فإذا بحاج قد بدت في وجهه آثار الجهد والإرهاق ، كانت هيئة وملامح وجهه تدل على أنه من بلاد ما وراء النهر ، قال لي بالأزبكية مع حركات يديه الكثيرة محاولاً إفهامي : كم علي أن أطوف بالبيت ؟ فأجبت بالأزبكية ، (وهي كل ما تبقى لنا من ذكريات بلادنا المنسية): عليك أن تطوف سبعة أشواط . فرأيت السرور داخله بمعرفتي لغته، ثم ما لبث أن قال باستعجاب: سبعة أشواط ! وهل تستطيعون ذلك، لقد بلغ الجهد مني مبلغه من أول شوط حول بيت الله وأشار إلي مبنى الحرم الخارجي ، ففهمت سبب تعجبه من كلامي ومدى ما أصابه من إرهاق ، لقد ظن هذا المسكين أن هذا المبنى هو الكعبة فشرع في الطواف حول الحرم كله دون تردد ، يا الله !... لم ير البيت قبل الآن !!!

فقطع تفكيري صوته قائلاً: استعين بالله وأكمل الطواف، ثم أخذ في الانصراف، فوجدتها فرصة سانحة للتعرف على ما يدور داخل بلاد المسلمين فاستوقفته عارضاً عليه مساعدته ، فرحب مسروراً.

ذهبنا سوياً إلى داخل الحرم وأشرت إلى الكعبة المشرفة وقلت له : هذا هو بيت الله ، لا الذي طفت حوله قبل قليل ، فما هي إلا لحظات حتى رأيت الدموع تنهمر من عينيه ، وقال : يا الله !... هذا هو بيت الله ، سمعت به كثيراً...

ولم أره إلا الآن!!!... فأسرع الخطا نحو البيت وأسرعت معه قائلاً : هذا من فضل الله عليك أن يسر لك القدم إلى بيته وقد حُرِمَ من ذلك الكثير ، فقال بصوت منتحب : كم سمعت أبي -رحمه الله- وهو يدعو ويتمنى رؤية بيت الله ولكن الشيوعيين لم يمكنوه من ذلك... فمات وفي قلبه حسرة وألم . لقد ذقنا يا بني الكثير مما لا أظن أن أحداً ذاق مثله ، ولكن... دعنا نطوف بالبيت أولاً ثم أقص لك شيئاً مما نلناه.

وبعد طواف رق به قلبي وذرفت عينايا مما شاهدت من عجب انكساره بين يدي الله وبكائه وعظيم حمده لله على تمكينه من حج بيته انطلقنا بعيداً عن الزحام وجلسنا في ناحية مستقبلين البيت العتيق ، فقال لي ما اسمك ؟ وكيف تعلم لغتنا ؟

قلت : اسمي عبد اللطيف البخاري ، هاجر والد جدي مع أهله وأبنائه في بداية المحنة، وانقطعت عنهم الأخبار فلم يبق لدينا إلا هذه اللغة وقصصاً تروى عن البلاد.. دعك مني الآن وأخبرني عن أحوال المسلمين هناك ؟ هيا أخبرني بالتفصيل فالوقت يدركنا ..

قال: أنتم في نعمة عظيمة لا بد لكم من شكرها ، نحن عشنا هناك مسلمين ولسنا مسلمين!!! لم يترك لنا الروس شيئاً يمت إلى الإسلام بصلة إلا وحاولوا إبادته وإنهاءه حتى أسماءنا ، هل تصدق..؟

والذي أسماني عبد الحكيم ولكني لا أعرف بهذا الاسم إلا في البيت..

أما رسمياً فاسمي حكيموف!! إن الروس قد فعلوا هذا بالأسماء وهي أسماء لا تضرهم ولا تقاومهم فماذا تظن أن يفعلوا في علمائنا ومشايخنا الذين يعلموننا القرآن والسنة ؟ نعم لقد ضيقوا علينا جداً حتى إن شعائر الإسلام قد اندرست أو كادت.

دعني أقص عليك طريقة كان بعض علمائنا يتبعونها في تعليم الصبية كتاب الله ، كان الشيخ يصعد فوق سقف المنزل من الداخل بسلم ويصعد الطلاب خلفه ثم يرفع السلم إليه ويخبئه ويلقي

الدرس بصوت خافت لكي لا يعلم أحد بهم ... وقل مثل ذلك في مخازن تحت المنزل . كان الشباب في المصانع إذا أرادوا المذاكرة ومراجعة شيء من العلم اجتمع كل أربعة أو خمسة في وقت تناول الطعام ويتحدث كل واحد بما عنده دون أن يلتفت إليه الباقون لكي لا يعلم بأمرهم. حتى الصلاة .. التي هي عماد الدين كان الواحد يذهب ويختبئ بعيداً ويصليها سريعة ويعود لكي يذهب الآخر فلم نعرف الجماعة منذ عهد بعيد . هكذا كان حال المهتمين والحريصين على بقاء شعائر الإسلام عند أبنائهم أما عامة الناس فحدث ولا حرج.

وماذا تستطيع أن تفعل لهم وأنت لا تأمن على نفسك وأهل بيتك ؟ آه كم أشعر بالأسى على مشايخنا وعلماؤنا الذين كان لهم الفضل بعد الله على بقائنا مسلمين ، نلنا ما لم يستطيعوا أن ينالوه ، بل لم نستطع أن نقدم لهم أبسط حقوق المسلم ، لم نستطع أن نغسلهم ونكفنهم كما يأمرنا ديننا فماتوا ودفنوا حسب مراسم الدفن الشيعوية حتى الصلاة عليهم لم تكن إلا سراً في جوف بيته. لم أتمالك نفسي فبكيت وأنا أسمع ما يقول ، حقاً إننا في نعمة من أمرنا ، هذه النعمة جعلتنا ننسى شكرها (إلا من رحم الله) ، يا إلهي كم نال هؤلاء القوم ليطركوا دينهم رغم ذلك وبعد هذه السنين الطويلة لا يزال هناك من يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله . ولا يعبد إلا الله ، نعم صدق الله ((وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ)) كم كنت أعيش في غفلة ، أشعر أنني تعلمت من هذا الشيخ الشيء الكثير ، شيئاً قد لا أجده مسطراً في الكتب ، لكنه موجود في الواقع ، أشعر أن أمامي مسؤولية عظيمة وحماً ثقيلاً . ولكن نعم! من قال إن أمر هذا الدين سهل ، لقد كان شاقاً حتى على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : ((إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا))

فهل نحن أعز على الله من نبيه ومصطفاه ، حاشا وكلا ، فلا بد من العمل ، لا بد من العيش للآخرين ، لأن من عاش لنفسه عاش صغيراً ومات حقيراً ؛ ومن عاش لغيره عاش عظيماً وعمراً طويلاً حتى بعد موته.

ثم ودعته وشكرته بحرارة وانصرفت وكان على كاهلي جبلاً عظيماً ، رغم ذلك ، كنت مسروراً سعيداً ، أفكر فيما حدث هذه الليلة وأعيد شريط الأحداث من بدايته ، وأنا أشق جموع الحجاج بين الصفا والمروة لأخرج من الحرم فإذا بي أسمع حاجاً روسياً . يقول لشخص بجانبه : هاأنا ذا في الشوط السادس ولكن أين الكعبة أريد رؤيتها!!!

قصيدة

الزمان النجيب

مروان كجك

سيأتي زمانٌ فتىً نجيبٌ بعون الإله السميع المجيب
ويخضرُ عُودي ، والمكرماتُ يُلذَنُ بشعبِ طُهُورِ نسيبِ
أقامَ الحضارةَ في كل صقيعٍ وأعطى الهدايةَ كلَّ الدروبِ
فمن ضلَّ ضلَّ عزوفاً جهولاً وعاشَ الحياةَ رهينَ الذنوبِ

سيأتي زمانٌ رؤوفٌ رحيمٌ وتنهارُ جدرانُ حقدٍ رهيبِ
وتأتي إلينا الطيورُ الثكالي يزاوجنَ أنساً وروضاً مهيبِ
وينثرنَ في أرضنا دندناتٍ ويهتفنَ: عاشَ النداءَ الحبيبِ

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

تباركت يا ربنا فانتشلنا من الذلّ واكسر شَبَاة الصليب

سيأتي زمانٌ ينيرُ الليالي ويملاً أفقَ الفضاءِ رعوذٌ
وينهضُ شعبُ زكيٍّ أريبٌ ويهتزُّ حبلُ الدعيِّ الكنوبِ
ويسقطُ عن عرشه كلُّ خبِّ ويصرخُ بالكفر صوتَ رعيبٍ :
أنا الموتُ أقبضُكم لا أبالي فقد جاء موعدكم من قريبٍ

سيأتي زمانٌ تَدُكُ قلاعُ بناها الطغاةُ لصنعِ الكروبِ
ويشقى رجالٌ تَمادَوْا خداعاً وظنوا الهدايةَ قتلِ الشعوبِ
فأسرفَ هذا بوادِ الرجالِ وأسرفَ ذاكَ بكَيْلِ الخطوبِ
فهاهنا الحديدُ المحمى لنمضي لهذا وذاك ونكوي الجنوبِ

سيأتي زمانٌ تخرُّ الليالي ويبزعُ فجرُ بديعِ المحيّا ويفترُّ ثغرٌ وطرفٌ هَيوبٌ
ويرجعُ للحيِّ أهلٌ وصحبٌ وأشواقُ عَمْرٍ وطفلٌ لَعوبٌ
وتبتلعُ الأرضُ كلَّ الأفاعي وَيَنْبَتُ حبلُ الخنا والعُيوبِ
على قدميه وتطوى الرُّبوبِ

سيأتي بحولِ الإلهِ زمانٌ وينكشفُ السترُ عن كلِّ وغدٍ
ويصحو نيامٌ أطالوا الرقودِ وتبلى السرائرُ في كلِّ ذيبٍ
وينهزمُ الشركُ والمشركون على الرّضفِ واستعمرتهمُ كروبِ
وتبلى السرائرُ في كلِّ ذيبٍ ويأتي زمانٌ فتىً نجيبٌ

المسلمون في العالم الإسلامي

أحداث (كنر)

ومقتل الشيخ جميل الرحمن

بالغ وألم عميق تلقينا أخبار القتال المؤسف الذي وقع بين فصائل المجاهدين في ولاية (كنر) وما أعقب ذلك من الاغتيال الغادر للشيخ جميل الرحمن -رحمه الله- رحمة واسعة. كان حرصنا دائماً أن نكتب عن انتصارات المجاهدين ، وكنا ننتظر أخبار فتح كابل ، ولكن ضريبة التفرق والتحزب جاءت بأخبار القتال في كُنر التي سالت فيها دماء الشباب المسلم من المجاهدين العرب والأفغان . ولا ندري كيف يبيح المسلم لنفسه قتل مسلم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، كم نتمنى أن يؤب المسلمون هناك إلى الحق ، ويتراجعوا عن هذه الأساليب ويتقوا الله في أنفسهم.

لقد وقعت أحداث قتل قتل هذا ولكنها ليست بهذا الحجم ، وكنا لا نذكرها حرصاً على سمعة الجهاد الأفغاني وخوفاً من شماتة الأعداء ، ولكن ما وقع أخيراً هو من الخطورة بمكان ، ولا بد من توضيح الصورة على حقيقتها ، حرصاً على مصلحة الائتلاف ووحدة المسلمين ، وحرصاً على نصيحة المسلمين بالابتعاد عن الوسائل غير الشرعية في حل مشاكلهم.

وستكلم في هذه العجالة عن :

- ١- ولاية كنر والصراع عليها.
- ٢- الأحداث الأخيرة ومقتل الشيخ جميل الرحمن.
- ٣- البيانات الصادرة عن الأحزاب الإسلامية وجو الإشاعات المؤسف.
- ٤- التنبيه إلى خطورة ما يكاد للجهاد الأفغاني من أعدائه الداخليين ومن الخارج.
- ٥- أهمية المنهج وخطورة الاتهامات ونقل الأخبار والدعوة إلى الوحدة والائتلاف.

ولاية كنر والصراع عليها :

تقع ولاية كنر في شمال شرقي أفغانستان شمال مدينة جلال آباد ، ويجري فيها نهر كنر الذي يجتمع من عدة فروع أهمها وادي بيج حيث منطقة الشيخ جميل الرحمن ، وأما شمال الولاية فيكون منطقة (نورستان) التي يسكنها قبائل النورستانية ، وهؤلاء لهم وضعهم الخاص وتنظيمهم الذي ارتضوه منذ بداية الجهاد ، وقد تركتهم الأحزاب الأفغانية على أنهم واقع موجود مع مسالمتهم للجميع : وغالبية أهل كنر ممن تأثروا بالمنهج السلفي وبرز من دعائها وعلماؤها (في كنر) المتبعين لهذا المنهج :

الشيخ جميل الرحمن - جماعة الدعوة إلى القرآن والسنة

الشيخ محمد أفضل - نورستاني

الشيخ غلام رباني - الجمعية الإسلامية

الشيخ فقير الله - الحزب الإسلامي

كانت كنر من الولايات الأولى التي بدأ فيها الجهاد منذ عام ١٩٧٨ في نهاية حكم محمد داود الذي استغله الشيوعيون ثم انقلبوا عليه ، والشيخ جميل الرحمن بدأ الجهاد مع إخوانه أهل المنطقة منذ ذلك الوقت ، ثم هاجر إلى باكستان وكان عضواً في الحزب الإسلامي ثم انفصل عنه وكون تجمعاً خاصاً أطلق عليه فيما بعد (جماعة الدعوة إلى القرآن والسنة) ، وقد دمرت قريته (ننجلام) تدميراً كاملاً من جراء قصف الشيوعيين وبقي القسم الأسفل من الوادي وفيه العاصمة (أسد آباد) بأيدي الشيوعيين إلى أن انسحبوا منها قبل ثلاث سنوات لأسباب غير واضحة ، ربما يكون منها أن ما تحتاج من حماية ودفاع أمام هجمات المجاهدين المستمرة أكبر من أهميتها الإستراتيجية ، وبعد هذا الانسحاب دخلت أحزاب المجاهدين إلى المدينة وشكلوا مجلساً للشورى لحكم الولاية يرأسه غلام رباني ويرتبط بالحكومة الإسلامية الأفغانية المؤقتة في (بشاور) ولكن جماعة الدعوة بزعامة الشيخ جميل الرحمن رفضت الانضمام لهذا المجلس ورأت أنه مجلس غير صحيح ، وأنها صاحبة الحق في إدارة الولاية . باعتبار أن معظم السكان من أتباعها ثم جرت الانتخابات في الولاية أكثر من مرة ولكن ثار جدال في نتائجها مما دعى الجماعة أن تعلن حكمها الفعلي للولاية وسلطانها الكاملة وتسمية الولاية باسم (إمارة كنر الإسلامية) وطلبت من الأحزاب الانضمام والبيعة أو يخرجون ، ولم تحصل مواجهة مع الأحزاب لضعفها ما عدا الحزب الإسلامي الذي لا يرى استقلال الولاية بنفسها ، ولذلك حوشر مقر الحزب ثم سمح لأميره فقير الله بالخروج فذهب إلى قريته واعتزل القتال الذي حدث بعدئذ .

الأجواء المشحونة وفتنة القتال الأخير:

حين رأى الحزب أن الجماعة سيطرت على الولاية قرر إلغاء هذه السيطرة ، خاصة بعد أن تسمت الأجواء بالإشاعات والاتهامات المتبادلة ، ولا نستبعد أن يكون هناك أطراف ثالثة لها مصلحة في إذكاء نار العداوة والبغضاء . وهي متآمرة على الجهاد الأفغاني وهذه شنشنة نعرف من قولها ويشيعها بين المسلمين ، وتهجمت جريدة الحزب الإسلامي (شهادت) على الوهابية

وصنفتها بأنها مثل القاديانية وإن كان الحزب قد اعتذر عنها في بيانه الصادر بتاريخ ١٤١٢/٢/١٨ هـ حيث قال «وقد نشرت في جريدة (شهادت) معبرة عن رأي كاتبها ولا تمثل الموقف الرسمي للحزب ، ولقد ساءنا ما نشر في الجريدة».

في هذه الأجواء المسمومة أصدر الحزب تحذيره للشباب العرب في كنف بأن يخرجوا من الولاية للبعد عن أجواء الفتنة ، وفعلاً ابتعد بعضهم إيثاراً للبعد عن الفتن والخلافات ، ورأى البعض أنه لا يمكن التخلي عن جماعة الدعوة واشتدت الحرب الكلامية بين الطرفين ، وأصدرت جماعة الدعوة بياناً توضح فيه وجهة نظرها وتجددت مساعي الصلح ولكنها فشلت كلها وقام الحزب بأمر خطير ، حيث استقدم مجموعة كبيرة من المقاتلين من خارج المنطقة ، وأما أهل المنطقة فالقليل منهم من شارك سواء مع الحزب أو مع الجماعة.

استمر الهجوم عدة أيام ، وقد شارك بعض أفراد الأحزاب الأخرى وليس كلها مع الحزب الإسلامي في هجومه، سواء بصفته الرسمية أو الشخصية ، ويظهر أن الحكومة الباكستانية قدمت دعماً ظاهراً للحزب وكأنها ترى الوقوف بجانب القوي . تمكن الحزب بعد الهجوم على الولاية من السيطرة على المنطقة المتنازع عليها وقد وصل عدد القتلى والجرحى إلى المئات كما ذكرت بعض المصادر بينهم بضعة عشر عربياً.

أثناء هذه الأحداث تكونت لجنة للمصالحة بتاريخ ١٨/١٨/١٤١٢ صفر/١٨ بمرافقة الشيخ جميل الرحمن والمهندس حكمتيار من بعض الأخوة العرب من الذين لهم علاقة طيبة بالطرفين، ومن أبرزهم الأخ أسامة بن لادن ، وقد تقدمت اللجنة بأعمالها حسب ما هو مقرر لها، وكان من المقرر أن تعلن وقف إطلاق النار بين الطرفين صباح يوم الجمعة ١٤١٢/٢/٢٠.

وكان من قدر الله أن لا يصل وفد الحزب إلى مكتب الشيخ جميل الرحمن للالتقاء بوفد جماعة الدعوة ويذهبوا إلى كنف لإعلان وقف إطلاق النار ، وذلك لوقوع الحادث الأثيم على الشيخ جميل الرحمن في منزله في منطقة (باجور) وهي منطقة قبلية تقع على الحدود مع أفغانستان.

نبذة عن حياة الشيخ وكيف وقع الاعتداء عليه :

ولد الشيخ جميل الرحمن بن عبد المنان عام ١٩٣٤ بقرية (نجلام) بوادي بيج من محافظة (كنر) ، وقد تلقى علومه الدينية في أفغانستان وباكستان ، وبعد ذلك بدأ دعوته إلى التمسك بالكتاب والسنة ، وكان من السابقين إلى مقارعة الحكومات الشيوعية وفي عهد محمد داود أمرت الحكومة بالقبض عليه ، وتتابع الحملات على قريته ففرّ الشيخ إلى الجبال ومعه تلاميذه وأبناء إخوته وبعد ذلك هاجر إلى باكستان وأسس جماعة الدعوة إلى القرآن والسنة . وكان له جهود طيبة في تأسيس المدارس الإسلامية في أوساط المهاجرين الأفغان والمناطق المحررة.

وبتاريخ ١٤١٢/٢/٢٠ الموافق ١٩٩١/٨/٣٠ تمكن القاتل عبد الله الرومي - ليس هذه اسمه الحقيقي - المصري الجنسية (١) ، من الدخول إلى منزل الشيخ بحجة السلام عليه وملاقاته ، وجلس ينتظر ويقرأ القرآن وبعد أن أنهى الشيخ حديثه مع أحد القادة اقترب هذه المجرم منه ليؤممه أنه يعانقه ثم صوب مسدسه وأطلق رصاصات أصابت وجه الشيخ ورأسه عند منطقة الأذن، فقضى نحبه فوراً -رحمه الله- وحاول القاتل الفرار ولكن الحرس انهالوا عليه بالرصاص فأردوه قتيلاً ، وقد أصدرت جماعة الدعوة بياناً تذكر فيه حادثة القتل نفتطف منه هذه الفقرة :

«ولئن ظن أعداء الدين أنهم يقتلهم للشيخ جميل الرحمن فإنهم سيقضون على الدعوة التي آمن بها ودعا إليها فقد خاب ظنهم ، وإن الله يقيض لهذا الدين من يحمله ويدافع عنه ويقدم له نفسه وماله ، والحمد لله الذي لم يعلق دينه على الرجال ولم يتعبدنا بتعظيمهم ولا تقديمهم على الحق ، ولسنا - بفضل الله تعالى - ممن يطري ويغلو في قادتهم ، فإن الشيخ أفضى إلى ما قدم - لا نقول أنه من

الشهداء ، ولا في الجنان العلى ، بل ندعو الله عز وجل أن يكون من الشهداء ، ويعفو عنه ويغفر له ويدخله فسيح جناته».

مَنْ وراء هذه الجريمة :

لم يتهم الشيخ سميع الله نائب الشيخ جميل الرحمن والذي اختير أميراً للجماعة بعده ، لم يتهم أحداً ودعا للتريث وانتظار نتائج التحقيق كما أن الحزب الإسلامي تبرأ من القتل وأدانه في بيان له بتاريخ ١٩٩١/٨/٣٠ ، ولم يعرف عن القاتل عبد الله الرومي انتماء معين ، وقد كان يسأل كثيراً عن لجنة الإصلاح ، كتب إليهم يستحثهم على الإسراع في إنهاء المشكلة ، ويظهر أن قلبه امتلاً حقداً وبغضاً للشيخ ، وساعد على ذلك الأجواء المسمومة التي أحاطت بالقتال في كمر ولا يستبعد أن تظهر الأيام القادمة أنه كان مدفوعاً بشكل غير مباشر ، من جهات تكره أهل السنة وتخطط دائماً لاغتيال علمائهم ، وربما تكون هي وراء مقتل الشيخ عبد الله عزام -رحمه الله-.

وقفات مع الأحداث :

١- لا شك أن أجواء الاتهامات المتبادلة كان لها تأثير كبير في شحن النفوس وجعل جهلة المسلمين يقدمون على قتل إخوانهم دون أن يرفف لهم جفن ، ووصلت هذه الأجواء إلى حد تصريح حكمتيار بأن العرب الذين مع جميل الرحمن يرون أن قتال الأفغان مقدم على قتال الشيوعيين (٢) وأصدر الحزب في صحيفة (شهادات) مقالات يتهم فيها ما يدعونه (الوهابية) بأنها صنيعة الإنكليز!! ثم تبرأوا من ذلك كما ذكرنا ، وقد يوجد من الطرف الآخر الشباب المندفع الذي يتفوه بكلمات لا يدري مواقعها ، ولا يستعمل الحكمة في دعوة الناس ، ولكن تبعة القتال الأخير تبقى على الحزب الإسلامي الذي استقدم جهال القبائل للإغارة على إخوانه، وكان الواجب استعمال الطرق السلمية الشرعية ولو طال.

٢- إن أحداث كمر وغيرها من أحداث العالم الإسلامي تؤكد على أهمية المنهج في حياتنا وأن الابتعاد عن هذا بالطرق الملتوية التي يسمونها (سياسة) لا يوصلنا إلا إلى التفرق والضعف ، وإن تقريب المبتدعة والمنحرفين والمشبهوهين وإعطاءهم من لين الكلام وأننا نجاهد معهم في خندق واحد ، كل هذا لم ينفع شيئاً . ونذكر القراء بما كتبناه في العدد الأول من البيان حول أهمية وضوح المنهج في حياة المسلمين.

٣- لا زلنا نحذر من المكايد التي تحاك ضد الجهاد الأفغاني سواء كانت مكايد داخلية من أصحاب الفرق المنحرفة الضالة ؛ أو مكايد خارجية من الدول التي لا تريد أن تلعو كلمة لا إله إلا الله . وتاريخنا الإسلامي في القديم والحديث يشهد على خطورة مثل هذه الاتجاهات ، وعدم تورعها في ضرب أهل السنة في أهلك الظروف.

٤- إننا ندعو الإخوة الأفغان بعد هذا الحادث الأليم أن يتفكروا في أسباب النصر ، وأنه بيد الله يعطيه من يشاء من عباده الذين تتمحض صفوفهم للحق ، وتتوحد وجهتهم ، وأن دولة الإسلام لا تقام على أشلاء القتلى والجرحى بين المسلمين أنفسهم ولا باستغلال القبيلية التي تزيد التفرق والتشردم ، ومن طبيعة الجهاد في سبيل الله أنه يوحد الصفوف.

وبعد:

إننا ونحن نكتب هذه المقالة عن الأحداث المؤلمة التي جرت في كمر تطالعنا الأخبار باتفاق أمريكا وروسيا على تصفية القضية الأفغانية أي تصفية الجهاد الأفغاني عموماً وفرض الحل الدولي من خلال إجراءات تتفق عليها أمريكا وروسيا مع دول المنطقة ذات العلاقة بالقضية الأفغانية ، ولذا فنحن نحذر أصحاب القضية الأفغانية ومن يتعامل معها أن يعينوا هذه التوجهات الدولية تجاه

القضية الأفغانية من خلال هذا القتال والتنازع والاختلاف وهي أحد الوسائل التي يراهن عليها أعداء الجهاد الأفغاني لتصفيته ولا نكون كالتي نقضت غزلها من بعد قوة. نسأل الله أن يعلي كلمته وينصر راية السنة ويوحد كلمة المسلمين على الحق.

الهوامش :

- ١- كان يعمل مراسلاً لمجلة الجهاد ومجلة البيان المرصوص التابعة للاتحاد الإسلامي واسمه الحقيقي أشرف أنور على النيلي والغريب أنه قد صدر بيان من مكتب سمي نفسه مكتب التحقيقات - إسلام آباد يحاول فيه تبرئة عبد الله الرومي من جريمة القتل.
- ٢- من مقابلة بين أحد المجاهدين مع المهندس حكمتيار.

مقابلة

لقاء مع الشيخ سميع الله

حرصاً من البيان على وحدة الصف الإسلامي وذكر الحقائق من أصحابها مباشرة ، قام مندوبنا لدى الجهاد الأفغاني بطرح أسئلة على الشيخ سميع الله أمير جماعة الدعوة إلى القرآن والسنة فأجاب مشكوراً:

س : كيف حصل مقتل الشيخ جميل الرحمن (رحمه الله) ومن كان وراء ذلك؟

ج : إن هناك بياناً صادراً عن الجماعة حول مقتل الشيخ بعنوان "البيان الرسمي والوحيد حول مقتل الشيخ" ... يمكنكم نشره.

س : متى أسست جماعة الدعوة بعد الهجرة بشكلها الحالي؟

ج : إذا كان يفهم أن لنا جماعة بمفهوم حزبي يفرق المسلمين ويجعلهم أحزاباً ، فليس لنا بهذا الاعتبار أية جماعة ، أو أي تنظيم ، لأن الحزبية والتحزب من أبطل الباطل في دين الله ... وقد دل الكتاب والسنة وإجماع المسلمين على ذلك . وما نعانیه الآن على أرض أفغانستان من الاقتتال ، وتأخير النصر ، ما هو إلا ثمرة مشئومة لهذا التفرق اللعين.

ولذلك ليس عندنا في جماعتنا أي مظهر من مظاهر التحزب لغير كتاب الله وسنة رسوله وفهم سلفنا الصالح ، وإنما المقصود بجماعة الدعوة ... جماعة تجمعت على الدعوة إلى التوحيد، ونصرة سلفنا الصالح، ولذلك لسنا من الحزبية في شيء ، فليس عندنا انتسابات حزبية ، ولا فصل عن الجماعة ولا سرية في التنظيم ، ولا تقوقع ... ولا تقليد لأشخاص ، ولا تفريق عندنا بين المسلمين بغير العقيدة والمنهاج ولا غير ذلك من مظاهر الحزبية المحرمة ، ولذلك من كان من عقيدتنا وعلى منهاجنا ، فهو منا ونحن منه ، سواء كان قريباً أو بعيداً ... مطيعاً أو مخاصماً. وجماعتنا اجتمعت على عقيدة السلف ومنهاجهم ... وهي إذن بهذا الاعتبار امتداد لأهل السنة والجماعة .. أهل الحديث ... وهم في أفغانستان قبل تلك الأحزاب جميعها وقبل ولادة قادتها.

س : ما هي المناطق التي فيها نشاطات لجماعة الدعوة؟

ج : نشاطاتنا في كل بقعة نصل إليها ... وفي كل مجلس نغشاه ، فنحن لا ندعو إلى جماعتنا ، ولا ندعو إلى حزب معين ولا إلى قائد ... وإنما ندعو إلى الكتاب والسنة على فهم سلفنا الصالح.

س : ما هو تصوركم عن شكل الدولة الإسلامية التي سقام بعد سقوط حكومة نجيب الله إن شاء الله تعالى؟

ليس لنا تصور عن شكل الدولة الإسلامية!! ولا يجوز لنا ولا لغيرنا أن يتصور شكلاً غير شكل ما كان عليه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه . والواجب على المسلمين في أفغانستان إقامة دولتهم منذ أن حرروا أول شبر من أراضيها ، ولا يجوز لهم تأخير هذا الواجب الذي شرع الجهاد من أجله حتى سقوط كابل أو سقوط نجيب .

فالمسلمون عندما فتحوا دمشق أقاموا فيها إمارة ، ولم ينتظروا حتى فتح الشام جميعها ، أو حتى يسقط هرقل...

إن عدم قيامنا بهذا الواجب ما هو إلا لبعدها عن منهج سلفنا وبسبب اتباعنا سنة غيرنا من الكفرة الملحدين الذين يؤمنون بالحدود والعواصم وهيئة الأمم وغيرها!!

إن إقامة دين الإسلام ... دين الله .. ليس مرهوناً بموت أحد ... ولا بفتح بلد!!

إن بعض الأساليب التي ينادي بها بعض الأحزاب الإسلامية لإقامة الدولة الإسلامية ، عن طريق الانتخابات البرلمانية ، أو التحالفات الدولية ... إنما هي أشكال من أشكال الطاغوت والجاهلية ، وإنما أتوا من جهلهم بهذا الإسلام العظيم..

((فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ))

((أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ))

جماعة الدعوة إلى القرآن والسنة

البيان الرسمي والوحيد الصادر عن الجماعة حول اغتيال الشيخ جميل الرحمن -رحمه الله:-
((وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ))

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله...

أما بعد

فبقلوب مطمئنة، ونفوس مسلمة لأمر الله، وقضائه، تلقت جماعة الدعوة إلى القرآن والسنة ومن وراءها من إخوانهم العرب والعجم نبأ اغتيال أميرها جميل الرحمن -رحمه الله- وأجزل له المثوبة.

فقبل ظهيرة يوم الجمعة ١٤١٢/٢/٢٠ هـ وقفت سيارة بجوار مجمع الدعوة في "باجور" ونزل منها عربي حنطي السحنة ، وبقي فيها أفغانيان ... ولما كانت جماعة الدعوة أكثر الجماعات ارتباطاً بالأحبة الأنصار العرب ، وأشدّها مودة كان الشيخ -رحمه الله- قد أصدر أمراً بعدم تفتيش العرب الذين يطلبون مقابلته ... وذلك احتراماً لهم ، وتقديراً لجهودهم ، ولبعد الشبهة عنهم.

وتقدم هذا العربي من الشيخ موهماً معانقته ، فإذا به يطلق عدة طلقات من مسدس على رأس الشيخ -رحمه الله- تعالى ليرديه قتيلاً ، ثم ولى هارباً باتجاه السيارة المنتظرة عند الباب .. فتبعه أحد الحراس فأطلق القاتل عليه طلقة أصابته في بطنه.. ثم تتابع عليه الحرس فأمطروه وابلأ من الرصاص أرداد قتيلاً.

فلما سمعت السيارة إطلاق النار الغزير ... لاذت بالفرار.

ثم بعد تبين هوية القاتل تبين أنه :

كان يتسمى بعدة أسماء ، من أشهرها «عبد الله الرومي» واسمه الحقيقي «أشرف بن أنور بن محمد النيلي» . وأنه كان من العاملين في أحد الأحزاب الإسلامية الأفغانية العاملة على الساحة .

وله مقالات في بعض مجلات الجهاد . وكان موغر الصدر مشحون القلب على أصحاب دعوة التوحيد . شديد الحقد عليهم ، سليط اللسان ..

وإن ما أشيع من أنه كان مضطرب النفس .. وأنه قتل نفسه وأنا برأنا إحدى الجهات ، وغير ذلك من الإشاعات الكاذبة إنما هي أخبار مفرطة عارية من الصحة .. أريد بها تمييع القضية ومن وراءها.

وأن لدى جماعة الدعوة من الأدلة الشرعية ما يبطل دعاوى المتخربين وبعضها بخط يد القاتل، ولا يزال التحقيق جارياً إلى ساعة كتابة هذا البيان وسنبين ذلك إن شاء الله عند اكتماله . وجماعة الدعوة وإن لم توجه الاتهام الرسمي حتى الآن إلى أحد ... فإنها تؤمن أن الجريمة لم تكن فردية .. وأنها دبرت بليل .. وأن هذه اليد الآثمة كان وراءها من وراءها من الذين يكرهون الدعوة السلفية ويكيدون لها وقد ساهم في قتله كل من تعرض للتوحيد .. أو للجماعة ، أو للشيخ .. باتهام أو إنذار أو شتم سواء كان ذلك بمقال أو خطبة أو كلام وسواء كانوا من العرب أو العجم حتى أوغروا صدره ودفعوه إلى هذه الجريمة المنكرة ، وأن على هؤلاء وزر هذا الحادث الأليم . ولقد خاب ظن من ظن ، أن بدفعهم عربياً لقتل الشيخ لإبعاد الشبهة عنهم .. وللإيقاع بيننا وبين أحبائنا العرب . كيف والعرب أحبائنا وأنصارنا بالمال والأنفس.

ولولا الله ثم إخواننا العرب لما قامت كثير من المنظمات الجهادية ولذا فنحن نبرئ كل العرب الشرفاء الذين وقفوا معنا ، وأيدوا دعوتنا ... ونعلنها صريحة .. أننا لا نستغني عنهم بعد الله ، وأن هذه الحملة من أعداء الجهاد المبارك ضد إخواننا العرب ، فإنما نحمل مسئوليتها من دفع هذا العربي الجاهل إلى هذا الفعل الأثم ويخطئ من يظن أن دعوة الرجوع إلى الكتاب والسنة على فهم سلفنا الصالح دعوة تتعلق بالرجال أو الأرض أو الديار ، إنهم يظنون دعوتنا - دعوة الأنبياء - مثل أحزابهم المبتدعة المتعلقة بالأشخاص .. إذا ماتوا ماتت .. وما جميل الرحمن - عندنا - إلا رجل داعية ، قد خلت الدعاة من قبله ، فإن مات أو قتل استبدلناه برجل آخر .. وحفظ دعوتنا من حقنا على ربنا...

((إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ))

ولذلك فإن أولياء الشيخ جميل الرحمن -رحمه الله تعالى- وجماعة الدعوة لا يسمحون للناس جميعاً ، بنشر صور الشيخ ولا بوصفه بالشهيد ، فالله أعلم بمن يكلم في سبيله ، ولكننا ندعو الله له بالرحمة والشهادة وأن يتقبل عمله ، ويجعله في جنان فردوسه . وسوف يتحمل المخالفون لهذا مسئوليتهم القضائية.

واتباعاً لسنة سلفنا الصالح ... فقد تم اختيار الشيخ "سميع الله" أميراً للجماعة قبل دفن الشيخ -رحمه الله تعالى-.

وجماعة الدعوة إذ تعلن هذا ، تعلن أن هذا هو البيان الوحيد الرسمي الذي صدر عنها بخصوص اغتيال الشيخ -رحمه الله تعالى-.

وختاماً فإننا نتوجه بالشكر والدعاء لكل من واسانا في مصيبتنا ، وندعو الله تعالى أن يتغمد فقيدنا برحمته ، ويسكنه فسيح جنانه ، وأن يعلي كلمته ، ويرفع راية التوحيد ، راية سلفنا الصالح ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أمير جماعة الدعوة سميع الله

الصراع الحضاري في كشمير

أحمد موفق زيدان

بعد المحاولة الفاشلة التي قامت بها حركة حراس الثورة الإسلامية في اختطاف سبعة كوماندوس إسرائيليين ، من بينهم امرأة يهودية ، قدموا لمساعدة الجيش الهندي في ضرب الانتفاضة التي بدأت في أغسطس ١٩٨٨ بعد هذا كله يكون الصراع الكشميري قد وضحت معالمه أكثر وأكثر لمن كان في قلبه شك من أن الصراع حضاري وليس مرتبطاً بقطعة أرض ولا تحده حدود ، وعلى الرغم من إعلان الهند بأن المختطفين سَوَّاح وليسوا عسكريين ؛ إلا أن التقارير والظروف تكذب هذا الادعاء ، فمنذ أشهر طويلة أعلنت الهند عن منع وصول السَوَّاح الأجانب إلى كشمير ، وطلبت الدول الغربية من رعاياها مغادرة الأماكن المضطربة في كشمير والبنجاب الهندية والتاميل ونحوها ، إضافة إلى أن مصادر المحللين العسكريين في لندن أكدت أن الكوماندوس تدريباً لخمسة أشهر في فلسطين المحتلة ، ثم توجهوا إلى نيبال والهند ، وتقول هذه المصادر أن الكوماندوس أرادوا وضع ألغام ومتفجرات على بعد ٦٠ ميل عن المفاعل النووي الباكستاني في كاهوتا قرب إسلام آباد لتفجيره عن طريق الرادار أو التفجير من بعد .

العامل اليهودي : لم يكن وجود اليهود في كشمير شيئاً جديداً خاصة للمتابعين ، فقد نشرت البيان في أحد أعدادها مقالاً بعنوان (تعاون هندي إسرائيلي لقمع الانتفاضة في كشمير) وكشفت وكالة الأنباء الباكستانية مؤخراً أن وجود العامل اليهودي قديم من حيث التعاون المعلوماتي أو الإرهاب والتدريب . وقد أكدت مصادر المجاهدين في كشمير وجود أكثر من ٣٥٠ كوماندوس يهودي يتعاونون مع الهند لضرب الانتفاضة الكشميرية ، وتطمح إسرائيل من وجودها في هذه المنطقة الهامة إلى ضرب المفاعل النووي الباكستاني الذي تعد المحطة النووية الوحيدة في العالم الإسلامي بعد ما حدث في العراق . والمفاعل الباكستاني هدف يهودي قديم وتقول المصادر الباكستانية بأنه غدا هدفاً رسمياً يهودياً منذ عام ١٩٨٦ عندما صرح رئيس هيئة أركان العدو اليهودي الجنرال (رافائيل يتان) بأن لا بد من تدمير المفاعل وأن أي مصدر يهدد أمن الدولة اليهودية لا بد من تدميره ، مما يؤكد أن الصراع ليس عربياً - إسرائيلياً وإنما إسلامياً يهودياً . وفي كتابه "الخدعة" قال عميل موساد سابق : (إن الإسرائيليين يملكون كل المعلومات المتعلقة بالمفاعل النووي الباكستاني والتي قدمها لهم (جوناثان بولارد) الجاسوس الإسرائيلي الذي قبض عليه الأمريكيان وهو يتجسس لصالح اليهود في نوفمبر ١٩٨٥ وتحدثت فيها معظم الصحف الأمريكية عن تسريب (بولارد) معلومات عن المفاعل النووي الباكستاني لإسرائيل .

وقد صرح مؤخراً (تشودري شجاعت حسين) وزير الداخلية الباكستاني الفدرالي بأن عملاء الموساد تسربوا إلى باكستان لضرب المفاعل ، إضافة إلى البيان الرسمي الصادر مؤخراً عن المجلس الوزاري الباكستاني الذي أكد قيام عملاء الموساد والهنود بإثارة الاضطرابات في البلاد لزعة استقرار البلاد .

وأيام الرئيس الباكستاني السابق (ضياء الحق) ذاعت شائعات بأن طائرات يهودية تزودت بالوقود من دلهي لضرب المفاعل الباكستاني ، وعقب (ضياء الحق) على هذا بقوله : إنه لو حصل هذا فسيعتبر هذا اعتداء على باكستان ويؤدي إلى حرب كبيرة وشاملة .

وفي تطور ذي علاقة بهذا الأمر وصل مبعوث رئيس الوزراء الإسرائيلي (إسحاق شامير) إلى الهند ، وهذه أول زيارة علنية لمسؤول يهودي للهند منذ قيام الكيان اليهودي . ومما يذكر أن وجود اليهود

في كشمير أو غيرها كما حصل في مساعدتهم للحكومة السريلانكية عام ١٩٨٣ ضد المتمردين التاميل إنما يهدف إلى الاقتراب من الحدود الباكستانية ودراسة إمكانية ضرب المفاعل. **أتواصوا به!!** اتبعت الهند استراتيجية قريبة من استراتيجية اليهود والروس ومحاكم التفتيش في الأندلس في التعامل مع المسلمين ، وأرسلت القيادة الهندية خبراء كباراً لإسبانيا لدراسة السياسة التي اتبعتها حكومتها السابقون ضد المسلمين أيام محاكم التفتيش ، ووصل إلى هناك السياسي الهندي المتمرس (د. بي. دهر) وأعد تقريراً مطولاً ومفصلاً بهذا الشأن ، وتوجه بعدها إلى الاتحاد السوفياتي ليعين سفيراً لبلاده هناك ، ودرس أيضاً الأساليب الروسية (القياصرة والبلاشفة) في مقاومة المسلمين ، وبعد هذا خرجت الهند بضرورة محاربة التعليم الإسلامي ، وطمس هوية كشمير المسلمة ونشر التعليم العلماني وتشجيع الحركات العلمانية على حساب الحركات الإسلامية خاصة بعد ظهور الحركات الجهادية التي يتردد بأن للجهاد الأفغاني دوراً فيها ، مما يؤكد على عمق التواصل التاريخي الحضاري.

ويقول الدكتور أليف الدين الترابي نائب أمير الجماعة الإسلامية لـ (البيان) : «لقد أدركنا هذا منذ فترة طويلة فركزنا على التعليم وبناء مؤسسات تعليمية موازية للمؤسسات الحكومية التي كانت تنتهج المنهج العلماني ، ويطغى فيها تمجيد معبودات الهندوس على حساب ديننا . ويضيف فيقول : «لقد تخرجت من هذه المدارس ولا أعرف الفرق بين معبودات الهندوس وبين الله تبارك وتعالى ، حتى وصل عدد المدارس والكليات التعليمية الإسلامية إلى ١٢٠٠ مدرسة ابتدائية وثانوية وكلية وقررت الهند فيما بعد إغراق البلاد بالفساد والفاحشة والإباحية وفصل الجيل الحاضر عن ماضيه ، وتشجيع الزواج من الهندوسيات ، ولهذا كان لا بد من التمايز وإشعار الشعب الكشميري بهويته».

والحركة الإسلامية بتعدد تنظيماتها أدركت خطورة هذا الوضع فهاجمت في البداية محلات الخمور والفيديو والسينما ونحوها قطعاً للطريق على إفساد الشعب الكشميري، ويقول الدكتور الترابي في تقريره عن الوضع : «لقد قامت الحركة الجهادية بحرب حضارية على الحضارة الهندوسية عندما أغلقت وحطمت دور السينما وبيوت الدعارة ومركز الخمور والملاهي حيث أغلقت جميعها في ديسمبر ١٩٨٩ وبخصوص تشجيع الحركات العلمانية خاصة حركة تحرير كشمير المحتلة بقيادة (أمان الله خان) فهي يسارية علمانية والبعض يتهمها بالعمالة ، فقد ذكرت صحيفة هندوستان تايمز الهندية يوم ١/٩/١٩٩٠ بأن عدداً من أعضاء حركة تحرير كشمير انضموا لأحزاب المجاهدين وذلك لفقدان المعنويات وعدم توفر الأسلحة في صفوف الحركة مما يدل على تخلى الشبان عن الإيديولوجيات غير الإسلامية التي أثبتت عقمها طوال هذا الصراع المرير منذ عام ١٩٤٧ والذي لم يكن عبثاً أن يتزامن مع قرار تقسيم فلسطين، وكان أمان الله نفسه قد صرح في مقابلة صحفية مع مجلة "الهيرالد" الباكستانية الصادرة في شهر فبراير (شباط) ١٩٩٠ بأن الحل العسكري غير ممكن ولا بد أن يسود الحل السياسي.

أما الاعتقالات فتتركز على الأحزاب الجهادية خاصة حزب المجاهدين صاحب القوة العسكرية في المنطقة . أما مجلة (اندياتودي) الصادرة في ٣٠ سبتمبر (أيلول) ١٩٩٠ فقالت بأن المخابرات الهندية (RAW) ستقيم علاقات مع الانفصاليين من حركة تحرير كشمير الحرة بزعامة أمان الله خان خاصة مع نائبه المعين حديثاً حامد شكيل.

النظرة الهندية : الاستراتيجية التي تسلكها الهند حالياً في المنطقة بشكل عام ، وكشمير بشكل خاص ، ليست وليدة الآن ، وإنما استراتيجية وسياسة أملتتها النظرة الحضارية الهندوسية الحاكمة على

العالم الإسلامي بشكل عام . وتود الهند لعب دور هام وخطير في هذه المنطقة التي تضم مئات الملايين من المسلمين.

يقول الدكتور (إيس آزباتيل) وهو خبير سياسي هندي كبير في الخارجية الهندية في كتابه "السياسة الهندية الخارجية" «يسود فراغ سياسي هائل في المنطقة بعد مغادرة الإنكليز ، ويجب ملء هذا الفراغ ، ومن الضروري للهند كونها قوة بحرية عظمى أن يتحول المحيط الهندي من سنغافورة إلى السويس إلى بحيرة هندية».

ويعلق أحد الاستراتيجيين الهنود على تنامي قوة بلاده فيقول: «إن البناء العسكري الهندي سيقنع العالم بمنح الهند الحق في الدبلوماسية الدولية» ويبدو أن الاستراتيجية الأمريكية تريد للهند لعب مثل هذا الدور ، ولكن لمدى معين ، حيث صرح قسم الدفاع الأمريكي في ١٩٨٩/٤/٨ إنه يعمل على تطوير العلاقات العسكرية بين بلاده والهند لأن الأخيرة تلعب دوراً مهماً في أمن واستقرار المنطقة ، وإنها دولة ديمقراطية عالمية وقائدة في منظمة دول عدم الانحياز ولذلك لم تظهر الولايات المتحدة أي تبرم أو امتعاض حيال أربعة تدخلات هندية في دول المنطقة وهي تدخلها عام ١٩٨٦ بعملية (براستاكس) وفي ١٩٨٧ بسيريلانكا ، و ١٩٨٨ في مالديف وفي ١٩٨٩ حاولت أن تتنمر على نيبال التي تعتبرها (مملكة هندية) وقد علق رئيس دول منظمة الكومنولث على تدخل الهند في سريلانكا بقوله : «تدخل راجيف في سريلانكا سلام تاريخي» وأشادت مارغريت تاتشر بالسرعة والأداء الذي قدمته القوات الهندية في إفشال انقلاب مالديف عام ١٩٨٨ وتأكيداً لمسألة الدور المحدود الذي تريده أمريكا للهند وذلك ضمن دائرة نفوذها فقد صرح قائد القوات الجوية في البحرية الأمريكية الأدميرال (وليوم بندلي) «نحن نفهم أن للهند دوراً في المنطقة ولكن حتى الآن لم تظهر سبباً معقولاً لنتامي قوتها البحرية» ولكن لعل تصريح الدكتور (باتيل) الهندوكي المتعصب يجيب على تساؤل "بندلي" عندما قال في كتابه المؤثرات الجغرافية «إن مصالح الهند تقوم في المناطق القريبة مثل نيبال وباكستان وبنغلاديش وأفغانستان وبورما وماليزيا وإندونيسيا وسيريلانكا ، وهي بلاد ضرورية لسلامة الهند ، ولذا فمن الضروري جداً أن تسيطر الهند على خط سنغافورة قناة السويس لأنها بمثابة الباب الرئيسي للهند» ثم يضيف فيقول : «إن حاجة الهند إلى البترول يلح عليها بالالتفات نحو الجزيرة العربية والعراق ، وإن الهند قوة بحرية عظيمة ومن الواجب أن يتحول المحيط الهندي من سنغافورة إلى السويس ليصبح خليجاً تملكه الهند».

ولمن يحسن الظن بالهند والهندوس حتى الآن ننقل له القول المأثور عندهم في كتاب الأب الروحي للهندوس وهو (جو تليه) الذي كان (نهرو) لا ينام إلا ويضعه تحت وسادته يقول المثل : «إذا أردت قتل عدوك فأظهر له العلاقة ، وإذا عزمت على قتله فعانقه ثم اقتله ، وحينها اذرف عليه الدموع!».

باكستان

أقلية ساهرة وأكثريّة نائمة

منذ تأسيس باكستان وظهورها كدولة مستقلة في أغسطس (آب) من عام ١٩٤٧ والباطنيون من الإسماعيلية وغيرهم يتحكمون في قيادتها السياسية والاقتصادية وغير ذلك ، ورغم فرح العديد من المسلمين بظهور هذه الدولة إلا أن القليل منهم من أدرك هذا الخطر ، ومن أدركه خشي أن يجهر به ، على الرغم من أن النسبة السكانية الشيعية في باكستان لا تتجاوز ٥% إلا أن العبرة

ليست في التعداد السكاني وإنما بالنفوذ والقوة والسطوة . وبنظرة سريعة على بعض البلدان الأخرى يتأكد لدينا هذا حيث أن النسبة السكانية الضئيلة هي التي تتحكم بمرقاب الأغلبية..
لقد نفذ الشيعة إلى العديد من المركز الحساسة بدءاً بالوزارات الفاعلة والحيوية ، مروراً بمركز الدراسات والتخطيط والإعلام والجامعات والأحزاب السياسية ، وتزويج بناتهم لقيادات الأحزاب العلمانية التي لها أصول سنية وانتهاءً بالنفوذ الاقتصادي والتجاري.
وفي هذا التحقيق المطول شيئاً ما ستحاول (البيان) إيضاح الحقيقة ووضعها أمام القارئ وإلقاء الضوء على هذه المشكلة.

المؤسس والقيادة : أكد عدد من الكتاب والمؤرخين بأن أصل (محمد علي جناح) والذي ركب موجة الاستقلال وأصبح زعيم ومؤسس باكستان رغم عدم اتقانه اللغة القومية (الأوردو) أكد هؤلاء المؤرخون أنه إسماعيلي باطني ، ولكن بعد وصوله إلى باكستان قبل الاستقلال بسنوات قليلة تحول إلى المذهب الشيعي ، ومنذ تلك الفترة و(محمد علي جناح) أو من يسميه الباكستانيون السذج بـ (قائدي أعظم) يقوي ويعزز من وجود الإسماعيلية والشيعة في مركز الدولة ، فمعظم الذين جاؤوا بعده من زعماء وقادة هم من الشيعة مثل (لياقت علي خان) الذي اغتيل في روالبندي قرب إسلام آباد ، والذي يدعو الباكستانيون بـ (قائد الأمة) ، كما تسلم زعامة باكستان أيضاً (يحيى خان) وهو شيعي أيضاً وهو الذي عين وزير خارجيته (ذو الفقار علي بوتو) حيث حصل في زمنهم تقسيم باكستان ونشوء دولة بنغلاديش وبتواطؤ مجيب الرحمن زعيم بنغلاديش الشيعي أيضاً ، وذلك عندما رفض (ذو الفقار علي بوتو) قبول نتيجة الانتخابات التي ظهرت بأنها في صالح مجيب الرحمن وقال قولته الشهيرة آنذاك (لن أقبل أن يقودني البنغال) وفي المفارقات أو المواقفات أن تقود ابنته بي نظير بوتو نفس الحملة في الانتخابات الباكستانية لعام ١٩٨٨ عندما قالت (لن أقبل أن يحكمني البنجابيون) لأن أصلها من السند في كراتشي.

وبنظرة متفحصة لتاريخ باكستان نرى أن القيادات السنية التي مرت عليها ثلاثة فقط، على الرغم أنها تعد من أكبر الدول السنية في العالم الإسلامي ، وهذه القيادات هي : الجنرال أيوب خان ، وضياء الحق ، ونواز شريف ، ولكن مع هذا استمر النفوذ الشيعي في الوزارات والأماكن الحساسة حيث إن تغيير الرئيس أو رئيس الوزراء أو حتى الوزير لا يعني تصفية الأنظمة البائدة لأن الوزير يأتي ويذهب ، ولكن القوة والفعالية للأشخاص الذين تحت الوزير والمسؤولين الكبار.

النفوذ الشيعي في الأحزاب السياسية :

للشيعة عدة أحزاب سياسية منها حزب تنظيم تطبيق الفقه الجعفري بزعامة ساجد علي نقوي ، وجناح آخر انشق عن الأول قبل سنوات بزعامة حسين الموسوي ، وتنظيم آخر هو حزب الله وسكرتيره العام اقتدار علي مظهر، وميليشيات عسكرية صغيرة يربو عددها حسب مصادر مطلعة على عشرات الميليشيات العسكرية . وثمة تنظيم آخر أيضاً باسم الجهاد ويقوده (أغا مرتضي بوياء) وشغل منصب السكرتير الإعلامي للتحالف الجمهوري الإسلامي ، ويشغل منصب رئيس مجلس إدارة صحيفة (المسلم) الباكستانية الشيعية القوية وحزب آخر يقوده (فخر إمام) وكان رئيس مجموعة المعارضة البرلمانية في أيام ضياء الحق ، وأما بالنسبة للأحزاب السياسية الأخرى فنفوذهم قوي فمثلاً أصغر خان رئيس حزب الاستقلال متزوج من سيدة شيعية ولذلك انضم في تحالف ديمقراطي مع حزب الشعب بزعامة بي نظير بوتو والحزب الشيعي جماعة (نقوي) ، أما زوجة محمد خان جونيغو أحد أعمدة حزب الرابطة الإسلامية فشيعة أيضاً.
وبالنسبة لحزب الشعب الباكستاني والذي تنزعه (نصرت) زوجة (ذو الفقار علي بوتو) وابنتها بي نظير فالمعروف عنهم بأنهم شيعة ، وكان ذو الفقار عاملاً سابقاً بإيران ثم نزح إلى باكستان وتدرج

في الحياة السياسية حتى غدا رئيساً للوزراء ، وقد أخذت بي نظير (السيف) شعارها الانتخابي في إشارة لسيف علي حيث كتب تحت السيف (لا فتى إلا علي ولا سيف إلا ذو الفقار) ولكن قرار المحكمة برفض شعار السيف جعلها تتخذ شعار السهم ، وعلق بعض السياسيين آنذاك بأن والدها (ذو الفقار) عندما اتخذ شعار السيف انفصلت باكستان إلى قسمين ، وباتخاذ بي نظير شعار (السهم) سينطلق إلى المفاعل النووي في (كاهوتا) قرب إسلام آباد وسيقضي عليه خاصة وأنه في تلك الفترة كانت بي نظير قد أبدت استعدادها لفتح المنشآت للتفتيش . وصرحت بي نظير قبل انتخابات ١٩٨٨ والتي أوصلتها للسلطة بأنها ستقتلع جذور اليزيدية في أفغانستان ، والمقصود بهم أهل السنة . كما أكدت في خطبها الانتخابية على أن مهمتها هي امتداد لخط الإمام زين العابدين وذلك في إشارة لاستقطاب الشيعة إلى صفوفها خاصة وأنها ترشحت من "جنرال" المنطقة الموبوءة بالإسماعيلية.

ووزعت الأحزاب الشيعية الدينية منشورات سرية لأتباعهم تحثهم فيها على انتخاب بي نظير ونصرت ، وأنهم اتفقوا معهم سرياً دون أن يكشفوا عن هذه الاتفاقيات السرية ، وقد نشرت المنشور في حينه مجلة "تكبير" الأوردية الأسبوعية الصادرة في كراتشي.

النفوذ الشيعي في الحكومة الحالية :

على الرغم من وصول "نواز شريف" المنتمي لأصول سنية للسلطة إلا أن الشيعة ما يزالون في المراكز الحساسة حتى وأنه أسند لهم مراكز حساسة جديدة ، فمثلاً وزير التربية والتعليم (فخر إمام) وهو شيعي وزعيم "مجموعة الأحرار" الذي مرّ الحديث عنه قبل قليل ، وفي مهرجان دسياء الصحابة (أي المدافعين عن الصحابة) و الذي عقد تكريماً لمقتل زعيم الحزب ويعتقد أن الشيعة قتلوه طلب منظمو المؤتمر بطرد فخر إمام من وزارة التربية والتعليم ، كما طلبوا بتحويل باكستان إلى دولة سنية ، وكان بعض أعضاء مجلس الشيوخ المنتمين للمدرسة الديوبندية (الحنفية) قد طالبوا أيام ضياء الحق بتقديم أسماء الضباط وأصحاب النفوذ من الشيعة إلى أعضاء مجلس الشيوخ كما حصل بالقاديانية حيث تم تقديم أسماء أصحاب النفوذ لمجلس الشيوخ.

وقد عين نواز شريف مؤخراً (عابدة حسين) الشيعية وهي زوجة (فخر إمام) ومعروفة بتعصبها الشيعي ويعدها الباكستانيون أنها سياسية أكثر من بي نظير كما قادت الوفد الباكستاني أيام زعامة بوتو إلى روسيا.

أما (إجلال حيدر زيدي) الشيعي والذي كان مستشار رئيس الوزارة لشؤون الدفاع فقد تم طرده من المنصب لاختلاسات ونحوها ولم يتم التحقيق معه.

وبالنسبة لحقبة الخارجية فكانها وقف على الشيعة في باكستان ، أما في الدول الأخرى فكانها حكر لغير المسلمين ، فمثلاً أغاشاهي والذي كان وزير خارجية ضياء الحق في بداية حكمه شيعي ومعروف بولائه للخميني ، والذي خلفه (صاحب زاده يعقوب علي خان) شيعي وعادة لا يذكر "علي" في اسمه ، و(زين نوراني) والذي جاء لفترة محدودة أثناء توقيع اتفاقيات جنيف شيعي أيضاً.

ويقول بعض الباكستانيين المطلعين أن معظم سكرتيري الوزراء وكبار وزراء الأقاليم المحلية من الشيعة.

الإعلام والنفوذ الشيعي :

للشيعة نفوذ قوي في الإعلام حيث حدثنا بعض الأصدقاء الإعلاميين الباكستانيين بأنهم عندما زاروا خلية الإعلام في البنجاب تعجبوا لنفوذ الشيعة حيث أن معظم الأساتذة من الشيعة وكذلك في التلفزيون حيث يحرصون على عدم تشغيل غير أبناء مذهبهم.

وبالنسبة للصحافة فمثلاً صحيفة (المسلم) الإنكليزية اليومية يرأس تحريرها (أغا مرتضي بوياء) ويطلب وبصراحة بدولة إسلامية على نموذج الدولة الإيرانية ويعمل بها الشيعة ، حيث أن معظم العاملين والمحررين شيعة ، والعجيب أنه رغم كون مؤسسها وصاحبها من التحالف الجمهوري الإسلامي إلا أنها تؤيد بي نظير بوتو.

وأما صحيفة "النيوز" اليومية الإنكليزية والتي تملكها عائلة (عبد الرحمن) في باكستان وهي عائلة سنية إلا أن رئيسة تحريرها امرأة شيعية الدكتورة (حليمة لودي) وكانت ترأس تحرير صحيفة "المسلم" سابقاً ، وهناك صحيفة (فرايدي تايمز) أسبوعية شيعية أيضاً . أما النفوذ الشيعي في الصحافة الأخرى فملحوظ فمثلاً الصحفي الباكستاني المعروف (شاهد حسين) يكتب في عدة صحف يومية ويراسل صحفاً عالمية ، وكذلك الصحفية (نسيم زهرة) شيعية ، وهناك صحفيون آخرون ولكن الأسماء التي ذكرت تعتبر بحق أقوى الإعلاميين الباكستانيين.

بالنسبة لمركز الدراسات الاستراتيجية والذي يخطط السياسة الخارجية الباكستانية تغير رئيس المعهد عقب وصول بي نظير للسلطة وأزاحت الجنرال عبد السني المعروف بميوله لضياء الحق ووضعت (راه مسعود حسين) وهو شيعي معروف.

التجارة : للشيعة نفوذ ملحوظ في التجارة والاقتصاد فمثلاً الأسواق الرئيسية في إسلام آباد مثل سوبر ماركت وجناح ماركت للشيعة ، وكذلك حصة كبيرة من بنك حبيب المشهور في باكستان إضافة لفندق كراتشي المعروف بـ (لكسري هوتل) وغيره من المؤسسات التجارية الأخرى . كما أن سوق الصرافة في بيشاور والتي ازدهرت خلال حقبة الجهاد الأفغاني المسيطر عليه تجار شيعة معروفون ومشهورون.

أسلوب الاغتيال والتصفية الجسدية :

تشير التقارير الموثقة أن للشيعة دوراً قوياً في اغتيال الرئيس ضياء الحق حيث قيل بأن طياره الذي انتحر كان شيعياً إضافة إلى أن الاستخبارات الباكستانية قد ألقت القبض مؤخراً على شخص أمريكي ثبت تورطه بالمؤامرة ومعه أرقام هواتف لمسؤولين إيرانيين يعيشون في إسلام آباد ، كما قتل مؤخراً ثلاثة أشخاص من أقرباء الجنرال (فضل الحق) حاكم إقليم (سرهد) سابقاً والمعروف بقربه من ضياء الحق وكرهه للشيعة ، وتشير الأدلة إلى تورط حزب تطبيق الفقه الجعفري في ذلك.

كما تفيد أدلة عديدة على تورط الشيعة في اغتيال الشيخ د. عبد الله عزام -رحمه الله- ولكن تم إغلاق الملف عندما وصلت التحقيقات إلى نقاط حساسة ، وقبله وبعده تم اغتيال الشيخ (إحسان إلهي ظهير) و(حق جهانكوي) زعيم (مدافعي الصحابة) المعادية للشيعة ، ثم خليفة (إيثار القاسمي) ورد عليهم (مدافعوا الصحابة) باغتيال مدير المركز الثقافي الإيراني في لاهور حيث كان وراء اغتيال (إيثار القاسمي) والذي كان عضو البرلمان الباكستاني.

تورط إيراني في بلوجستان :

أوائل حكم ضياء الحق قبضت السلطات الباكستانية على عدداً من حراس الثورة الإيرانية ومعهم الأسلحة في داخل الأراضي الباكستانية لزرع الفتنة في الإقليم، ولكن بعد مفاوضات مطولة تم تسوية الأمر مع الحكومة الإيرانية ، وأطلق سراح أصحاب الفتنة ، وكان يشغل في تلك الفترة حكم الإقليم (محمد موسى) وهو شيعي وزوجته شيعية، وعندما توفيت زوجته نقلها إلى قم ودفنت هناك ، وعندما هلك هو أيضاً نقل إلى قم ودفن فيها.

ماذا تريد إيران من باكستان :

برزت إيران بعد حرب الخليج بدون شك قوة إقليمية كبرى ، وأشارت إلى هذا بي نظير بوتو في محاضرة لها ببيشاور عندما قالت : «إن إيران خرجت من حرب الخليج دولة إقليمية كبرى ولها طموحات في أفغانستان) ولكن طموحاتها تتعدى أفغانستان وتحلم بدولة باطنية في المنطقة . ويبدو أن العقبة الهامة في وجه طموحاتها بعد القضاء على العراق هي باكستان ، ولذلك تعمل حالياً على دفع باكستان لتوتير علاقاتها مع الهند بسبب كشمير وتظهر لها بأنها حريصة على باكستان وإعادة كشمير المسلوقة والحقيقة غير هذا، وتحدثت مصادر أفغانية موثوقة لـ (البيان) أنه في الاجتماع الأخير الذي ضم نواز شريف رئيس وزراء باكستان مع زعيم الحزب الإسلامي الأفغاني السيد قلب الدين حكمتيار قال الأخير لنواز شريف بأن إيران تدفعكم للحرب مع الهند لإضعاف بلدكم وبهذا ينفس المجال لها لتكون قوة إقليمية كبرى ، وتحاول إيران حالياً جاهدة أن تفصل باكستان عن المجاهدين وتوتر علاقاتها معهم ، وذلك حتى لا يبرز تحالف أفغاني باكستاني قوي، وهذا ليس في مصلحة إيران مستقبلاً ، وهذا ما يؤكد تخوف حكمتيار الأخير من موافقة باكستان على مقترحات الأمم المتحدة لحل القضية الأفغانية والمجيء بحكومة من غير المجاهدين وتتلخص السياسة الإيرانية في أفغانستان بقيام حكومة من الشيوعيين في كابل والمعتدلين (جيلاني ، مجدي ، محمد) ، وهذه نفس السياسة الغربية وما صرحت به الإدارة الفرنسية مؤخراً ، وبهذا تكون الحكومة الأفغانية ضعيفة هزيلة تتحكم بها إيران.

إن أفغانستان تعد عمقاً استراتيجياً مهماً جداً لأهل السنة. وأي ضربة قادمة بغيابها عن هذا التحالف - لا سمح الله - ستكون بالعمق والقلب.

والمعروف أن المعتدلين علاقاتهم غير طيبة مع باكستان وبهذا لن تكون الحكومة القادمة في صالح باكستان ، إضافة إلى هذا مسألة المسلمين في آسيا الوسطى حيث ترغب إيران في التأثير عليهم من خلال أفغانستان التي تشترك معهم بحدود طولها ١٥٠٠ كم تقريباً، وأما إن كانت الحكومة الأفغانية المقبلة مؤيدة لباكستان فسيكون التأثير عليهم باكستانياً وأفغانياً وحينها ستنتعش التجارة الباكستانية في الجمهوريات الإسلامية المحتلة خاصة وأن سكان هذه الجمهوريات لا تستطيع شراء السلع الحديثة الغربية لارتفاع أسعارها أما البضائع الباكستانية فرخيصة نظراً لرخصتها بالأصل وقربها الجغرافي أيضاً.

حقيقة الهجوم على أمريكا:

يلاحظ المراقبون في باكستان هجوم قيادات الشيعة: كتابهم ومسؤوليهم على أمريكا ولكن هل الحقيقة كذلك أم أن وراء الأكمة ما وراءها؟ والحقيقة أنه قد كتب الكثير عن علاقات طهران مع المسؤولين الأمريكيين وتوسط أمريكا في إنجاح الثورة الشيعية.

الشيعة وتطبيق الشريعة :

منذ أيام ضياء الحق وإعلانه عن تطبيق الشريعة وحتى الآن والشيعة يعرقلون ويضعون العقبات في طريق سن أي دستور لهذا الأمر، وإن كانت بعض المنظمات الإسلامية الأخرى تتحدث عن تطبيق الشريعة الإسلامية من باب النقص وعدم الجدية، فالشيعة يريدون تطبيق الفقه الجعفري على باكستان التي لا تضم سوى ٥% من الشيعة وحاولت الأحزاب الشيعية جاهدة عرقلة التطبيق. وبعد: أخي المسلم هذه حقائق نضعها حول منطقة تلعب دوراً خطيراً في العالم ، خاصة وأن العامل السكاني المسلم مهم جداً في هذه المنطقة والمؤلف من مجموع سكان باكستان وأفغانستان وبنغلاديش ومسلمي الهند. ونأمل أن يتم وضع استراتيجية فعالة لمواجهة هذه التحركات الباطنية الخطيرة.

بيان من حركة

الجهاد الإسلامي الإرثي

قال الله تعالى : ((وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ يِقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُوْكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ))

إن من دأب الصليبيين واليهود على مر التاريخ ومنذ بزوغ فجر الإسلام معاداة ومحاربة الإسلام والغدر بالمسلمين ومقاتلتهم حتى لا يتمكنوا من إعادة مجدهم الإسلامي التليد. وتبعاً لهذا النهج العدائي للإسلام والمسلمن الذي تتبعه الصليبية واليهودية المعاصرة فإن ما يحدث الآن من تطورات خطيرة في أثيوبيا وإرتريا بعد سقوط نظام منغستو وتسلم الصليبية المحلية الناشئة والمتطورة السلطة في كل من أثيوبيا (جبهة ملس زيناوي) وإرتريا (جبهة إسياس أفورقي) ، بدعم ورعاية الصليبية الغربية ، والكنائس العالمية ، والمتمثلة في تجاهل التنظيمات السياسية الإرثية ذات التوجه الإسلامي والعربي وفي مقدمتها حركة الجهاد الإسلامي الإرثي ، وحرمان هذه التنظيمات من ممارسة حقها المشروع في تقرير مصير وطنها ، عن طريق فرض الإجراءات التعسفية عليها ، إن هذه التطورات سوف تؤدي بلا شك إلى تفاقم الأحداث وسوف تدخل المنطقة في حرب جديدة ذات أبعاد خطيرة.

إن ما يحدث الآن في أثيوبيا وإرتريا من ترتيبات سياسية ، يدخل في إطار إستراتيجية ما يسمى (بالأمن الإقليمي لحوض البحر الأحمر) لخدمة القوى الاستعمارية الغربية ومنظمات الكنائس واليهودية العالمية في هذا الجزء من العالم . والجدير بالذكر فإن الحركة أبرمت اتفاقيات التنسيق مع ثلاثة تنظيمات إرثية على أساس صيغة (الجبهة الإرثية المتحدة) تتركز في المجالات السياسية والعسكرية ، والاقتصادية ، والعلاقات الخارجية ، وذلك للتصدي ومواجهة حجم المؤامرة الصليبية الكبيرة التي تستهدف المسلمين في المنطقة ، ومن المتوقع أن تقوي هذه الخطوة جبهة المعارضة الإرثية وتصديها لمخططات إسياس أفورقي الانفرادية المدعومة بالقوى الصليبية المحلية والعالمية ، وتبرز دور (حركة الجهاد الإسلامي الإرثي) الرائد في مواجهة أعداء الإسلام وحشد الطاقات الإسلامية لذلك.

وإنه لما يدعو إلى الأسى والحزن أن ينفذ أعداء الإسلام والمسلمين من الصليبيين واليهود مخططاتهم تلك على مرأى ومسمع الدول العربية والإسلامية . وإن مسابرة بعض من دول الجوار من الدول العربية لهذه المخططات وتلك الإستراتيجية المعادية والتعامل معها من منطلق المصالح المتبادلة ودون المراعاة لحقوق ومصالح المسلمين في المنطقة يمثل تطوراً خطيراً لا يمكن قبوله ولا يجوز السكوت عليه ، لأنه يتعارض أولاً مع عقيدة الإسلام في الولاء والبراء ، كما يتعارض مع مبدأ احترام حقوق الإنسان في حرية التفكير والتعبير واتخاذ القرارات.

وبهذه المناسبة تتوجه (حركة الجهاد الإسلامي الإرثي) إلى المسلمين كافة وإلى الهيئات والمنظمات الإسلامية والدعات إلى الله في كل مكان بالنداء لدعم الجهاد الإسلامي في إرتريا مادياً ومعنوياً وإزالة المعوقات التي تقف أمامه والدفاع عن حقوق المسلمين الإرثيين في حق المشاركة لتقرير مصير وطنهم عبر التنظيمات التي تعبر عنهم من خلال الجهد المبارك والمتواصل والسعي الحميد لدى إخوة الإسلام من الدول العربية لتنهض بواجبها الإسلامي.

قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ
الْبُعْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ))

تفكك الاتحاد السوفيتي وماذا بعد الانهيار

انتهت الحرب العالمية الثانية بانقسام العالم إلى معسكرين متعارضين سياسياً واقتصادياً ، المعسكر الاشتراكي بقيادة الاتحاد السوفيتي ؛ والمعسكر الرأسمالي الغربي بقيادة الولايات المتحدة . ولكن طبيعة الصراع بين هذين المعسكرين الجديدين ، كانت مختلفة تماماً عن طبيعة الصراع بين المعسكرات المتناحرة في ما قبل الحرب العالمية الثانية أو الأولى ، ذلك أن ظهور نوع مختلف من الأسلحة هو السلاح النووي ؛ وتخوف المعسكرين ورعبهما من خطر نشوب حرب نووية ، كان عاملاً نفسياً قوياً أجبر الفريقين على فتح أبواب الحوار لتسوية المشاكل المستعصية . وبذلك انتقلت أشكال الصراع الرئيسي من ميادين القتال إلى معامل التجارب العلمية ، ومحطات أبحاث وصناعة سفن فضاء ، فكان صراعاً من نوع آخر . التكنولوجيا الحديثة سلاحه وأجهزة المخابرات جنده ومنفذه ، فكانت الحرب الباردة.

في نهاية القرن التاسع عشر ، ظهر على الساحة الأيديولوجية كتابا «رأس المال» و«البيان الشيوعي» اللذان كتبا من قبل كارل ماركس وإنجلز في لندن ، فكانا بمثابة أنظمة وشرائع ارتكزت على أساسها النظرية الشيوعية . قام الحزب الشيوعي ليوستولي على سلطة أكبر دول العالم من حيث المساحة وثالثها من حيث السكان وذلك عقب ثورة ١٧ أكتوبر ١٩١٧ الروسية . لقد سيطر هذا الحزب على روسيا ومن ثم الاتحاد السوفيتي وحكمها فترة ٧٤ سنة ، تعاقب على رأس الحكم فيها ، وعلى مدى تلك الفترة ، كل من لينين وستالين ومالينكوف وخروتشوف وبريجينيف وأندروبوف وتشرنينكو وآخرهم غورباتشوف ... وخلال حكم هؤلاء كلهم ، جرى ذبح ألوف من أهل الحكم الطامعين والطامحين ، كما جرى ذبح خمسة ملايين في حرب أهلية ، ثم ذبح حوالي عشرة ملايين في عملية تصفيات ستالينية داخلية في الثلاثينات ، ثم ذبح ضعف هذا العدد في الحرب العالمية الثانية ، ثم ذبح الآلاف في حرب أفغانستان ، فكانت حصيلة حكم هذا الحزب لتلك البلاد ، انسحاق حوالي الأربعين مليون سوفييتي في موت غير طبيعي وفي تدابير استبدادية تعسفية تحولت معها الكنائس والمساجد زرائب للخنازير ، والأملك الخاصة إلى مشاعات يتصرف بها أفراد الحزب الحاكم ، ناهيك عن الحالة الاجتماعية والاقتصادية المخزية التي وصلت إليها البلاد . ونظراً لضعف النظرية إلى اتبعها وقصر نظرها ، ونتيجة لهشاشة السياسة العملية إلى انتهجها ، بالإضافة إلى الكفر والاستعلاء والاستكبار والقتل والظلم والقهر بحق شعبه وغيره ، اعترف الاتحاد السوفيتي ، ومع بداية الثمانينات ، بعجزه ، وذلك بعد أن ظهرت ، وبشكل واضح ، علامات ضعفه وفشله في الحرب الباردة مع المعسكر الرأسمالي الغربي.

لقد بدأ العد العكسي عند المعسكر الشرقي وخاصة في الاتحاد السوفيتي حيث بدأت الأمور تتفاقم والحالة الاجتماعية والاقتصادية من سيئ إلى أسوأ ، حتى جاء غورباتشوف وفي منتصف العقد الماضي ليقدّم عرضه «البيريسترويكا» أو «إعادة البناء» ، والذي شكل ثورة في المواقف والأفكار والممارسات ، ودعا إلى تغيير جذري في السياسة الداخلية والخارجية على السواء ؛ يقول غورباتشوف في مقدمة كتابه «البيريسترويكا»:

«نحن نعرف ونأخذ في الاعتبار الدور الكبير الذي تلعبه الولايات المتحدة في العالم الحديث ، ونقدر إسهام الأمريكيين في الحضارة العالمية، ونحسب حساباً للمصالح المشروعة للولايات المتحدة ، ونذكر أنه بدون هذا البلد يستحيل إزالة خطر الكارثة النووية ، وضمان سلم وطيء . وليست لدينا أية نوايا سيئة تجاه الشعب الأمريكي . ونحن راغبون ومستعدون للتعاون في كافة المجالات . لكننا نريد أن نتعاون على أساس المساواة ، والتفاهم المتبادل والمعاملة بالمثل» .

لقد جاءت «البيريسترويكا» في الاتحاد السوفييتي لنتهي مرحلة حرب باردة خارجية دامت ٤٠ سنة وتفتح ، في الوقت نفسه ، مرحلة حرب باردة داخلية ، دارت لمدة ستة أعوام بين تيارين متناحرين أفرزتهما تلك «البيريسترويكا» : تيار المحافظين الماركسيين اللينينيين ، وتيار الليبراليين الديموقراطيين . كان المعسكر الغربي ما يزال مستمراً في تركيز مواقعه وتشديد الخناق على المعسكر الشرقي . فلقد عملت أوروبا والولايات المتحدة واليابان بكل قوتها من أجل تجهيز المسرح العالمي لانتهاج الحرب الباردة ، ليس من خلال تنازلات ، وإنما من خلال زيادة الضغوط لتصفية المعسكر الشرقي بمقوماته المختلفة ، وحصار الاتحاد السوفييتي ودفعه إلى داخل حدوده ، وتقليص نفوذه الدولي ليصل إلى أدنى حد ممكن .

وفي سنة ١٩٨٤، كانت اللجنة الثلاثية - وهي لجنة غير رسمية تضم ممثلين عن الولايات المتحدة وأوروبا الغربية واليابان - قد طالبت الدول الأعضاء - وخاصة دول أوروبا الغربية - ببذل جهود من أجل تكثيف روابطها الاقتصادية والعلمية والثقافية مع دول شرقي أوروبا في محاولة لإنهاء تقسيم القارة الذي طرأ منذ عام ١٩٤٥ ، وذلك تحت عنوان «الديموقراطية لا بد أن تنتصر» ، وشعارات حقوق الإنسان، والحرية الديموقراطية، وإصلاح النظام الاقتصادي ، إضافة إلى موضوع مواجهة الإرهاب...

لقد نجحت دول التحالف الثلاثي على مدار السنوات الست ، في اتخاذ خطوات أدت فعلياً إلى تقليص النفوذ السوفييتي في العالم الثالث وقلب النظام السياسي البولندي سلمياً، ثم تداعي نظم أوروبا الشرقية بسرعة لا تصدق وسقوط رؤوسها ، وفاق غورباتشوف والاتحاد السوفييتي ، الواحد تلو الآخر . وشهدت برلين قمة الأحداث المثيرة في شهر نوفمبر ١٩٨٩ ، عندما سقط جدار برلين وتدفق المواطنون الألمان الشرقيين إلى الغرب ، مما أدى فعلياً إلى إنهاء ارتباط الاتحاد السوفييتي بدول شرق ووسط أوروبا ، وأصبح السوفييات في حاجة للغرب أكثر من أي وقت مضى؛ فلقد صرح الرئيس البولندي ليخ فاليسا، وخلال زيارته إلى بريطانيا في ١٩٩١/٤/٢٥ ، أنه ينبغي على الاتحاد السوفييتي السماح لشعبه بتشكيل اتحاد جديد قائم على أساس الديموقراطية ، وحذر في خطاب ألقاه أمام مؤتمر للسياسيين الأوروبيين الشباب من أن الغرب قد يواجه هجرة جماعية من أوروبا الشرقية إلا إذا ساعد البلدان الشيوعية على إنعاش اقتصادياتها...

لقد سقطت إذن أوروبا الشرقية في أيدي المعسكر الغربي الذي تمكن معها بدفع المعسكر الشرقي إلى داخل حدوده وتقليص نفوذه ، فوُجعت تائهة تنتظر العون والمدد من جاراتها الغربيات ، فما كان من تلك الأخيرة ، ولكي تضمن انسلاخ تلك الدول عن معسكرها السابق ، إلا أن ربطت تلك المساعدات بالانتقال السريع المباشر من اقتصاد «رأسمالية الدولة» حيث يتحكم القطاع العام بكل شيء إلى «دولة الرأسمالية»...

وفي مطلع الأسبوع الثالث من شهر نيسان ١٩٩١ ، افتتح في لندن البنك الأوروبي للتعمير والتنمية . ولقد أعلن هذا البنك صراحة أن قروضه مشروطة سياسياً ، أي ربط التمويل بأهداف سياسية صرفة ، وهذا أمر غير متاح من خلال قوانين المؤسسات الدولية الأخرى مثل البنك الدولي أو صندوق النقد الدولي على الرغم من الخضوع المتزايد لهذه المؤسسات لاعتبارات سياسية . فلقد

حدد هذه البنك هدفه الأساسي بمساعدة دول أوروبا الشرقية على الانتقال من الاشتراكية إلى الرأسمالية ، وسيضمن ذلك بصورة ملموسة مساعدة الدول الخارجة من النظام الشيوعي على تصفية القطاع العام وتكوين البنى التحتية لنظام الاقتصاد الحر .
في ١٩٩١/٤/٢٤ ، وخلال اجتماع عقد في براغ وضم عشرين وزير عمل أوروبي ، نقلت وكالة الأنباء التشيكوسلوفاكية عن وزير العمال السوفيتي فاليري بولمان توقعه أن يُجبر الوضع الاقتصادي حوالي ثمانية ملايين عامل على البحث عن عمل في الخارج خلال السنوات الثلاث المقبلة . ولكن الرد الغربي كان صارماً وصريحاً : مزيداً من التنازلات ، الانتقال السريع ، وإيكم الدعم ...

وهكذا، وتنفيذاً لشروط الغرب للحصول على مساعداته، وتحت شعار تكريس الديمقراطية في الاتحاد السوفيتي وتحسين أحواله الاقتصادية ، قام الكرملين بقيادة غورباتشوف بالانسحاب من كل مواقعه الاستراتيجية في العالم وأهمها الشرق الأوسط ، وبانسحابه ، تفرد الغرب بالقرار هناك ، فتم تدمير قوة الأمة والهيمنة على مقدراتها وثرواتها ، وتنفيذ حالياً التسوية السلمية للصراع العربي الإسرائيلي بالشروط الإسرائيلية الكاملة ، وتتم تصفية القضية الفلسطينية، ولكي يبيض سجله لدى السلطات الأمريكية في مجال حقوق الإنسان ، فقد سمح بهجرة يهود الاتحاد السوفياتي إلى إسرائيل وعددهم بالملايين.

هذا على الصعيد الخارجي . أما على الصعيد الداخلي للاتحاد السوفياتي ، فالحرب الباردة كانت مستمرة ، تهدأ تارة وتشتد تارة ، مرت فيها البلاد في ظروف صعبة جداً وصلت بها أحيانا إلى حافة الهاوية ، ثم تخطتها حتى كان الانقلاب فجر ١٩/٨/١٩٩١ . فكيف دارت أحداث تلك الحرب الداخلية الباردة ؟ ما هي الأحداث التي سبقت الانقلاب ؟ لماذا وقع الانقلاب وما هي أهدافه ونتائجه؟..

«يتبع»

كتب

البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي - الإسرائيلي

تأليف : د. يوسف الحسن

عرض : أحمد عبد العزيز أبو عامر

حدد القرآن الكريم والسنة المطهرة العلاقة بين المسلمين وأهل الكتاب في السلم والحرب، وحذر من أعداء الإسلام وخاصة من اليهود لما جبلوا عليه من غدر ولوم وعداء صريح للإسلام والمسلمين يقول تعالى: ((لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا)) ويشتركون مع النصارى في عدم الرضا عن المسلمين لقوله تعالى : ((وَأَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ)) وهذا ما يؤكد أن العداء مع هؤلاء عداء عقيدة ، لكن كثيراً من العلمانيين في عالمنا العربي اليوم يحاولون بكل جهودهم تحجيم هذا العداء وأن المسألة خلاف قومي بمزاعم موهومة يكذبها الواقع ، ولذا كثيراً ما نجدهم يطنطنون بالأخوة القومية بعيداً عن الأخوة العقديّة ، ويفرقون بين (الصهيونية واليهودية) بدعوى أن عداءنا مع الصهاينة وليس مع

اليهود وقد ألفت في هذه الدعوى كتب ورسائل ولعله يتسنى لي في فرصة قريبة بيان خطأ هذا التوجه وبيان زيف مدعيه.

والمتابع للأحداث الجارية في المنطقة ولا سيما أهمها وهي ما تسمى بأزمة الشرق الأوسط التي هي (مشكلة العدوان الصهيوني واحتلال الأرض المباركة في فلسطين ظلماً وعدواناً) يلمس التعاطف الكبير بين اليهود والنصارى الذين لولا دعمهم لليهود لم تقم لدولتهم قائمة مع العداء الديني بين هاتين الملتين . ولقد استطاع الصهاينة بخبثهم أن يوظفوا (الكتاب المقدس) لصالحهم بشكل نتجت عنه اتجاهات صهيونية في المسيحية كما ستري في هذا الكتاب.

والكتاب الذي سنقدم عرضاً له في هذا المقال هو أحد مطبوعات (مركز دراسات الوحدة العربية) وهو مؤسسة قومية علمانية تصدر عدة سلاسل ثقافية ، والكتاب يحمل رقم ١٥ في سلسلة (أطروحات الدكتوراه) ويبلغ الكتاب ٢٢٢ صفحة مع الفهارس وقد قام المؤلف بجهد في رصد وتحليل الاتجاهات الصهيونية في الحركة الأصولية المسيحية الأمريكية المعاصرة وكشف عن قوة تأثيرها في صنع وتشكيل السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني ودورها في توفير المناخ الملائم لنزعة أمريكية عامة متحيزة لإسرائيل ، كما سعى إلى كشف الغطاء عن المدى الواسع في استعمال الرموز الخطابية التوراتية في العمل السياسي الأمريكي نتيجة تأثير الكنيسة في المجتمع المدني وبخاصة في ثقافته العامة بحيث صور الصراع العربي الصهيوني في الخيال العام الأمريكي على أنه امتداد للصراع التوراتي بين اليهود وغيرهم ، وعلى أن العلاقة الأمريكية الإسرائيلية هي علاقة خاصة قائمة على فهم توراتي تراثي مشترك . ولذا وجد في الخطاب السياسي الأمريكي اصطلاح (الالتزام الأخلاقي بدعم إسرائيل) وهو ما لم يستعمل مع دولة أخرى غير ربيبتهم تلك.

وقد قسم المؤلف الكتاب إلى خمسة فصول وخاتمة على النحو التالي :

الفصل الأول : تناول فيه جذور الصهيونية في المسيحية الأصولية الأوروبية منذ القرن (١٦م) محلاً كيف اختلفت المعتقدات الدينية وتزاوجت بالأهداف السياسية والاستراتيجية، ومهدت المناخ الملائم لولادة الحركة الصهيونية السياسية للجماعات اليهودية.

الفصل الثاني : البحث عن التأسيس التاريخي للاتجاهات الصهيونية في المسيحية الأصولية الأمريكية موضحاً أهم المنظمات الصهيونية المسيحية الأمريكية في النصف الأول من القرن العشرين ومحلاً مواقفها تجاه الصراع العربي الصهيوني واشتمل هذا الفصل على ثلاثة مباحث هي :

١- جذور الصهيونية في التاريخ الأمريكي.

٢- جذورها في الكنائس البروتستانتية.

٣- الاتجاهات الصهيونية والكنيسة الكاثوليكية.

الفصل الثالث : ناقش الكاتب الحركة المسيحية الأصولية في الفترة بين عامي ١٩٦٧ - ١٩٦٨ وحلل أهمية دور الكنيسة في المجتمع الأمريكي وعلاقتها بالدولة دستورياً ، كما تناول العوامل التي تقف وراء نهوض الحركة المسيحية الأصولية الأمريكية وبخاصة تأثير نكبة ١٩٦٧ في إحياء فكر الحركة وتنشيط صهيونيتها وازدياد تأثيرها في السياسة الخارجية.

الفصل الرابع : البحث في مؤسسات الحركة المسيحية الأصولية ومنظماتها وتحالفاتها وجماعات الضغط فيها ، كما ناقش الظاهرة الجديدة المسماة بالكنيسة المرئية ، وبين أهم منظماتها وأبرز قادتها وأكثر برامجها انتشاراً وتأثيراً إضافة إلى علاقاتها السياسية والإعلامية والمالية وامتدادها إلى خارج أمريكا.

الفصل الخامس : ناقش المؤلف في بحثين هامين الخلافات بين الحركة المسيحية الأصولية والحركة الصهيونية اليهودية وإسرائيل ، كما تناول الآفاق المستقبلية لحركة المسيحية الأصولية في المجتمع الأمريكي.

وفي الخاتمة : تناول أهم نتائج دراسته إلى لخصها فيما يلي :

- ١- بيان الأصول والاتجاهات الصهيونية في الحركة المسيحية الأصولية في أمريكا وهي التي تزعم بأن عودة اليهود إلى فلسطين مفتاح النبوءات المقدسة والمبشرة بعودة المسيح الثانية.
 - ٢- أن مقولة (أرض بلا شعب لشعب بلا أرض) هي مشروع مسيحي صهيوني قدم لمؤتمر لندن عام ١٨٤٠ وأن أول جماعة ضغط صهيونية بأمريكا أسسها رجل دين بروتستانتى هو (بلاكستون) عام ١٨٨٧
 - ٣- إن قناعات (بلفور) الدينية والمعتقدات التوراتية (للورد جورج) رئيس الوزراء البريطاني آنذاك وتأثرها بالفلسفة اليهودية وخلفياتها الفكرية الدينية وراء بلورة موقفهما السياسي تجاه المشروع الصهيوني.
 - ٤- وبتحليل الجذور التاريخية للاتجاهات الصهيونية غير اليهودية في التاريخ الأمريكي وفي الكنائس البروتستانتية والكاثوليكية في أمريكا . توصلت الدراسة إلى أن هذه الاتجاهات قد شكلت عنصراً بارزاً في الحياة الثقافية والسياسة الأمريكية منذ بداية تأسيس أمريكا عن طريق (البيوريتان) الذين حملوا معهم التقاليد والقناعات التوراتية التي انتشرت في إنجلترا بعد القرن ١٦م.
 - ٥- تبين أن المؤسسات والمنظمات المسيحية الصهيونية تلقت الدعم العلني والسري من الحركة الصهيونية وقيام دولة إسرائيل تدعمت المعتقدات المسيحية الأصولية بدعوى أن الحدث إشارة إلى النبوءات المقدسة عندهم.
 - ٦- إن الكنيسة الأمريكية نظام شمولي في أغراضه وأنشطته وعلاقاته حيث تمزج الدين بالتعليم والخدمات الاجتماعية وبالطب والسياسة والفن والحرب والسلام ولا يفلت من شبكها شيء يتعلق بالإنسان.
 - ٧- إن الصحوة المسيحية الأصولية تجسدت في تيار جماهيري له مؤسسات متعددة الأغراض والإمكانات المالية ليس من السهل مقاومته وتستطيع تعبئة عدة ملايين للانخراط في العملية السياسية الانتخابية.
 - ٨- إن المسيحية الأصولية جسدت حركتها في مؤسسات إعلامية ومنظمات وجماعات وتحالفات متعددة خارج أمريكا ، وتعاونت مع إسرائيل في تأسيس منظمة أصولية في القدس وقد أسست الكنيسة المرئية التي تستخدم برامجها الاستعراضية لجمع أموال التبرعات ، ولا تكفي بالدروس الدينية بل تهتم بكل المسائل الاجتماعية والسياسية والعسكرية والترفيهية وتهتم باكتساب القوة والنفوذ السياسيين أكثر من اهتمامها بالدين وتقدم رؤيتها السياسية لقضية الصراع العربي الصهيوني من خلال رؤيتها التوراتية.
- ويختم المؤلف كتابه بما سماه (خطة عمل عربية لمواجهة صهيونية الحركة المسيحية الأصولية) ومن أهم بنود هذه الخطة :
- ١- إعداد دراسة جادة ومفصلة حول مواد التعليم في مدارس الأحد والمدارس الدينية المسيحية لاستكشاف العناصر الخفية والظاهرة للاتجاهات الصهيونية المؤيدة لإسرائيل . وتقديمها لقادة المسيحيين المتعاطفين مع وجهة النظر العربية وتشجيعهم بالمطالبة بإصلاح برامج تعليم تلك المدارس!!

- ٢- دعم وتشجيع عقد مؤتمرات دينية مسيحية في أمريكا وبشكل دوري تناقش فيها مسائل العلاقات بين الدين وحقوق الإنسان بهدف استكشاف استخدام الصهيونية السياسية التوراة لمصالحها ومؤتمرات أخرى في بعض البلاد العربية حيث يوجد فيها المسيحيين.
- ٣- تنظيم حملة إعلامية مستمرة في أمريكا مستخدمة اللغة الكنسية نفسها لتنفيذ مزاعم الصهيونية المسيحية كأطروحة شعب الله المختار ووضع مدينة القدس على أن تبدأ في الأرياف قبل المدن.
- ٤- دعم وتشجيع ونشر معلومات معدة بشكل علمي وميسر حول الإسلام ومعالجة للقضايا الاجتماعية والسياسية ونظرية الأديان ودور الحضارة الإسلامية في حفظ الحضارة الإنسانية.
- ٥- وضع أسس حوار دائم بين المسيحية واليهودية و الإسلام واستحداث أقسام داخل المنظمات والمعاهد والمراكز والمؤسسات الإسلامية في الوطن العربي مختصة بهذا الشأن وتنظيمه.
- ٦- دعم وتشجيع نشر مقالات وأخبار حول مسائل تتعلق بحقوق الإنسان الفلسطيني في الأرض المحتلة وإثارة أسئلة حول معتقدات المسيحيين في العهد القديم.
- ٧- استعملت الأصولية المسيحية المتصهينة تقنية الأقمار الصناعية للاتصال بغيرها عبر العالم لنشر دينهم عبر الكرة الأرضية وأي خطة لمواجهةهم لا بد أن تشمل استخدام هذه التقنية المعاصرة.

ملاحظات عاجلة على الأطروحة

- أولاً: أشار المؤلف بأن أطروحته هذه هي أول الأبحاث التي تناولت هذا الجانب من السياسة الأمريكية . وهذا بنظري ليس صحيحاً إذ سبق الكاتب في بحث هذا الموضوع بالعديد من الدراسات والكتب المنشورة ومنها :
- ١- الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي (حيال القضية الفلسطينية)
 - ٢- النبوءة والسياسة تأليف (غريس هالسل) ترجمة الأستاذ محمد السمّك . حيث تطرقت المؤلفة لعمل المؤسسات والشخصيات داخل أمريكا لصالح إسرائيل.
 - ٣- قبل أن يهدم الأقصى كتاب للأستاذ عبد العزيز مصطفى وبيان دور الصهاينة النصارى في دعم إسرائيل.
 - ٤- دراسة الأصولية الدينية والثقافية للقرار الغربي في الصراع على فلسطين للأستاذ طارق متر نشرته مجلة الفكر الإسلامي البيروتية العدد ١/السنة ٩١ الصادر في جمادي الأول ١٤٠٩
- ثانياً : المؤلف كتب أطروحته من منظور قومي ولم يذكر وجهة نظر الإسلام في هذا الموضوع وبالمنطلق القومي أراد استخدام النصرانية - فيما يزعم - لصالح وجهة النظر العربية.
- ثالثاً : من أعجب العجب أن يستغل اليهود والنصارى الدين لمصالحهم العليا لكننا نرى (القوميين العرب) يستغلون الدين لمصالحهم القومية الضيقة ولا يهم إن كان ذلك يصح شرعاً أو لا . المهم أن يخدم مصالحهم.
- رابعاً : أغفل المؤلف الحلول الإسلامية الجذرية لمعالجة قضية الصراع العربي الصهيوني وأنه لا ينفع معهم إلا القوة الإيمانية المنبثقة من الجهاد الإسلامي الذي يعرفون حقيقته حق المعرفة يوم حاربهم المجاهدون الأوائل في بدايات قيام دولتهم وأبلوا بلاء حسناً ولولا القرارات المحبوكة ضدهم لتغير التاريخ ولكن قدر الله لا بد أن يتم وعسى أن نعرف الحل الجذري لمشكلتنا معهم فالحرب معهم لا بد أن تكون عقائدية ولا يمكن أن نهزمهم بالعلمانية الحاكمة في البلدان العربية ، والله غالب على أمره.

عبد العزيز بن أحمد باطرفي

الحديث :

عن زينب الثقفية امرأة عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما- قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:- «تصدقن يا معشر النساء ولو من حُلِيكن».

قالت : فرجعت إلى عبد الله بن مسعود فقلت له : إنك رجل خفيف ذات اليد(١) ، وإن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- قد أمرنا بالصدقة ؛ فأته فاسأله ؛ فإن كان ذلك يُجزئني (٢) وإلا صرفتها إلى غيركم.

فقال عبد الله : لا ، انتبيه أنت.

فانطلقتُ ، فإذا امرأة من الأنصار بباب رسول الله صلى الله عليه وسلم- حاجتي حاجتها .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم- عليه المهابة ، فخرج علينا بلال فقلنا له : انت رسول الله - صلى الله عليه وسلم- ، فأخبره أن امرأتين في الباب تسألانك :

أتجزئ الصدقة عنهما على أزواجهما وعلى أيتام في حجورهما (٣) ؟ ولا تخبره من نحن.

فدخل بلال على رسول الله صلى الله عليه وسلم- ، فسأله ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم- : «من هما؟»

فقال : امرأة من الأنصار وزينب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم- : «أي الزيانب هي ؟» قال : امرأة عبد الله.

فقال الرسول صلى الله عليه وسلم- : «لهما أجران : أجر القرابة وأجر الصدقة» متفق عليه واللفظ لمسلم..

دروس من الحادثة :

من هذه الحادثة التي وقع فيها بلال رضي الله عنه- في موقف حرج وطريف بين الرسول - صلى الله عليه وسلم- وبين وصية الصحابيتين له بعدم ذكر اسميهما نخلص بفوائد ودروس منها :
* كثيراً ما تمر علينا مواقف حرجة ، وعندما يحاول البعض الخروج من هذا الموقف بالتورية نراهم يقعون في الكذب سواء علمه الناس أو كان بين الواحد منا وبين ربه . وإن كان في التورية مندوحة عن الكذب إذا احتيج إلى ذلك.

وبلال رضي الله عنه- حاول التورية لكي ينفذ ما طلبته الصحابيتان منه بقوله «امرأة من الأنصار وزينب» والزيانب كثيرات ، ولكن فطنة الرسول صلوات الله وسلامه عليه- أوقعت بلال في موقف ؛ فلم يجد مخرجاً منه غير الصدق لأنه يهدي إلى البر والبر يهدي إلى الجنة ولأن ليس أمامه إلا التصريح ولا مصرة في ذلك.

* أن مجال الخير ليس مقصوراً على الرجال دون النساء والباب مفتوح للجميع فهذا رسول الله - صلى الله عليه وسلم- يخص فيها النساء بموعظة وتذكير ويحث النساء على التصديق ، والأصل في الأوامر أنها للرجال والنساء معاً . وهذا يشجع الأخوات على حضور المحاضرات والدروس التي يوجد فيها مكان لهنّ . إذا كان ذلك لا يخل بواجب ولا يعرضها لفتنة.

* تنبيه المرأة المسلمة وحثها على الإنفاق:

إن ما ينفق على الكماليات والزينة والأزياء فيها من الإسراف ما الله به عليم فلو خصصت كل أخت مبلغاً معيناً للإنفاق في سبيل الله ووجوه الخير لكان خيراً لها وأعظم أجراً.

* كم .. وكم يسمع الواحد منا من مواعظ .. أو كلمات .. أو خطب عن طريق الدروس والمحاضرات .. أو الأشرطة .. أو المذياع أو غيرها مما تأمرنا بمعروف وتنهانا عن منكر .. ولكن هل أحس كل واحد منا أنه هو المعني بالخطاب ؟ فامتثل الأمر واجتنب النهي واتقى الله .
والصحابية -رضوان الله عليهم- كل واحد منهم عندما يسمع الخطاب يعتقد أنه هو المخاطب به ، دون سواه .

وبهذا الأدب في الاستماع يبادر الجميع إلى العمل كما ترى في هاتين الصحابيتين -رضي الله عنهما- ، وهذا ما تعلمه الصحابة -رضوان الله عليهم- من النبي -صلى الله عليه وسلم- : العلم والعمل .

* إخفاء أعمال الخير عن الناس قدر الاستطاعة وهذا خلق من لا يريد الرياء والسمعة والشهرة بين الناس و إنما نقلت لنا الصحابية الخبر لكي لا تكتم علماً .. «لهما أجران : أجر القرابة وأجر الصدقة» .

* كان رجال الصحابة -رضي الله عنهم- يعلمون ويشعرون بقوامة الرجل على المرأة ، وكان عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- تخرج من سؤال النبي -صلى الله عليه وسلم- عن صحة إنفاق زوجته عليه وعلى أبنائه مع حاجته الماسة والشديدة إلى ذلك لأنه كان خفيف ذات اليد أي قليل المال فاستحيا أن تنفق عليه المرأة .

وما أكثر الرجال في وقتنا المعاصر الذين يتربصون بما في أيدي النساء ويرضون أن يكونوا عالة عليهن ، بل ربما عضل بعضهم ابنته عن الزواج ليكسب من ورائها شيئاً من حطام الدنيا الزائل .

حب الزوج وستر حاله :

ونرى ذلك في مساعدة الزوجة زوجها وأبنائها بالصدقة وستر أمر الزوج وفقره عن الناس عندما طلب الصحابيتان -رضي الله عنهما- من بلال عدم ذكر اسمهما لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- .

التحلي بالصبر :

ومن أنواعه الصبر على ضيق العيش فهاتان الصحابيتان صابرتان محتسبتان على شظف العيش مع أزواجهما من غير تذمر ولا سخط ولا غضب . بل إنهما تكتسبان وتنفقان وإنما تخرجتا من إنفاق الزكاة الواجبة على الزوج ومن في حجورهما من الأيتام فسألنا عن ذلك .

* حازت الصحابيتان الخير الكثير فلهما أجران : أجر القرابة وأجر الصدقة ، وهو عمل واحد فيا له من خير عظيم .

* على المرأة المسلمة أن تسأل أهل العلم فيما يعرض لها من مسائل في الدين والدنيا فإنه لا حياء في الدين وإذا أمكن أن يكون ذلك بواسطة زوجها أو قريب لها كان أفضل وأبعد لها عن الفتنة وذلك ما بدأت به زينب زوج عبد الله .

ومن أسهل هذه الطرق - وبحمد الله - الهاتف فأرقام أهل العلم من المشايخ متوفرة ؛ ولا يبقى إلا كسر حاجز الشيطان الذي يضعه أمام كل مؤمن ومؤمنة ليمنعه من معرفة الحكم الشرعي الصحيح . وأخيراً فإن الإمام النووي وضع هذا الحديث في باب «بر الوالدين وصلة الأرحام» .

الهوامش :

١- خفيف ذات اليد : أي قليل المال .

٢- يجزئ عني : دفعتها لكم .

٣- على أيتام في حجورهما : أي في ولايتهما وتحت حمايتهما .

صحة

حوادث التسمم

د. محمد صايل هليل

يقع التسمم العارض Accidental poisoning بين واحد إلى اثنين من كل مئة طفل دون الخامسة . وهو يشكل أحد الأسباب الرئيسية لوفاة الأطفال في هذه الفترة من العمر . إن حوادث تسمم الأطفال تسجل أعلى معدل لها عند الأطفال في السنة الثانية من العمر ، إلا أن نسبتها في الأطفال الذين تقل أعمارهم عن سنة واحدة عالية أيضاً . إن ثلث حوادث تسمم الأطفال تقع في مطبخ البيت كما بينت بعض الدراسات . وأن أهم عنصر في حوادث التسمم هو تخزين المواد بشكل خاطئ .

تبدأ حوادث التسمم عند الأطفال حالما يبدأ الطفل الحبو والتحرك داخل البيت . فالأطفال الذين تقل أعمارهم عن سنتين يتناولون المواد الضارة المخزونة في أماكن قريبة من الأرض، كخزائن المطبخ السفلية مثلاً ، وأن الأطفال بين ٣-٤ سنوات من العمر ، يتناولون المواد المحفوظة في أماكن مرتفعة بعد تسلقهم والوصول إليها .

إن حركة الطفل المفرطة، وفضوله الشديد لمعرفة كل ما في البيت ، إضافة إلى أن الطفل يمر بمرحلة نمو نفسي - المرحلة السلبية - يحاول فيها بناء ذاته واستقلال شخصيته، بحيث لا ينصاع للأوامر والنواهي ، كل هذه الأمور تعرضه إلى التسمم أكثر من غيره . لذا فإن حوادث التسمم لا تعني تقصير وإهمال الأهل بالضرورة . إن المواد السامة كثيرة وعديدة وهي أكثر من أن تحصى، وفي بعض الدول أنشئت مراكز ضبط التسمم Poisoning Control Centres ويمكننا تقسيمها في المجموعات التالية :

- ١- الأدوية : وتشمل كل الأدوية مهما كانت دون استثناء مطلقاً .
 - ٢- المواد البترولية: كالبنزين ، الكيروسين (الجاز) وسوائل القداحات وغيرها وهي خطرة جداً لما تحدثه من تلف يصيب الرئتين وأحياناً القلب والدماغ .
 - ٣- المبيدات : وهي مبيدات الحشرات وهي مواد شديدة السمية ، تؤثر على الجهاز العصبي .
 - ٤- مواد التنظيف: وهي المستخدمة لتنظيف الحمامات والمراحيض والمصارف .. وهي مواد كاوية حارقة تتلف القناة الهضمية تلفاً شديداً إذا أخذت عن طريق الفم وتسبب مضاعفات خطيرة تلازم الطفل طيلة عمره .
 - ٥- التبغ وأعواد الثقاب لما تسببه إثر تناولها عن طريق الفم .
 - ٦- النباتات : سواء نباتات الزينة أو ما ينبت قريباً من البيت من النباتات البرية ، أو ما يضاف للنباتات من مواد كيماوية - وهي عديدة جداً .
 - ٧- مواد التجميل والعطور وطلاء الأظافر والأسيتون .
 - ٨- الغازات السامة المنبعثة من المدافئ والمواقد : كمواقد الفحم والكيروسين ، وغيرهما ..
 - ٩- التسمم باللدغ : كلدغ العقرب والأفعى والحشرات الأخرى .
 - ١٠- المواد الكيماوية الأخرى : مثل كرات العث (كرات النافثالين) التي توضع مع الملابس .
- ويقع حادث التسمم إما بوضع المادة الضارة قريباً من متناول الطفل ، وهذا هو الأغلب ، أو وضعها في أوعية يختلط على الطفل بأنها مواد غذائية . فوضع الكاز في زجاجات المياه المعدنية عادة خاطئة ، غالباً ما تكون السبب - وكما نراه - في تسمم الطفل العطشان الذي لا يستطيع إن يفرق بين الماء والكاز إلا بعد شربه فقط .

تصل هذه المواد إلى داخل الجسم بطرق عديدة كالفم - والتنفس - والجلد أو داخل الجلد كاللدغ مثلاً أو غيرها . إن تأثيرها يتفاوت بحسب نوع المواد المتناولة وعددها وكمياتها . والفترة المنقضية ما بين تناولها وزيارة الطبيب وعوامل أخرى لا مجال لبحثها.

إن ما العمل لتفادي تسمم الأطفال؟

هذا سؤال حتمي أمام الحقائق ، والجواب يتلخص في هذه الإرشادات كخطوط عامة :

- ١- بالرغم من أن البعض قد يظن أنه ليس عملياً أن نرفع كل المواد الضارة بعيداً عن متناول الأطفال : إلا أن هذا هو أهم إجراء وقائي . نعم وضع المواد السامة في مكان مرتفع ومحكم الإغلاق.
- ٢- لتسهيل ما سبق ، ينصح بعدم تخزين كميات كبيرة جداً من المواد الضارة كالمنظفات والدهانات والمبيدات ومواد تلميع الأثاث وغيرها في البيت.
- ٣- عند الانتهاء من استعمال مادة معينة أو نفاذها يرجى عدم الاحتفاظ بعبوتها الفارغة أو تركها للأطفال يلعبون بها ، بل إلقاؤها في القمامة.
- ٤- عند وضع مادة سامة أو ربما تكون ضارة في أوعية مواد نافعة ، كالجاز - أو سائل التنظيف الأبيض - في زجاجات المياه الفارغة ، يرجى وضع ملصق صغير يبين ما بداخل الزجاجات مثلاً (جاز) أو (سائل تنظيف) حتى يتجنب الكبار تناولها ، ورفعها في أماكن عالية بعيداً عن الأطفال ، لا سيما وأن الأطفال لا يقرأون ما بداخلها.
- ٥- عدم وضع المواد السامة قريباً من المواد الغذائية.
- ٦- تربية الطفل - عملياً - مبدأ مهم وهو أنه ليس كل ما تقع عليه اليد يصلح للأكل ، وتبيان مخاطر المواد السامة للطفل إذا كان في عمر يدرك معنى الكلام.
- ٧- فيما يتعلق بالأدوية بالذات ، نؤكد على ما يلي :
 - الاحتفاظ بالأدوية بعيداً عن متناول الأطفال مهما كان الدواء .
 - استعمال الأوعية التي يصعب على الطفل فتحها وعدم ترك الأدوية متناثرة . وعادة ما تصرف الأدوية في مثل هذه العبوات التي يصعب فتحها .
 - عدم استعمال أي دواء فقدت أو تلفت الكتابة التي تحدد اسمه .
 - عدم وضع أدوية في زجاجات أدوية فارغة أخرى .
 - عدم إعطاء الدواء إلا للمريض ، وعدم إعطاء أي طفل آخر دواء أخيه دون استشارة الطبيب .
 - عدم إعطاء الأدوية للأطفال في الظلام ، إلا بعد التأكد من اسم وكمية الدواء واسم الطفل على الزجاجات .
- عدم خداع الطفل أن الدواء هو حلوى أو شراب بل يجب خلق الثقة بين الأبوين والطفل ويجب أن نبين للطفل بكلام بسيط أن هذا دواء يشربه ليزول مرضه ، نشرح له هذا بلغة بسيطة يفهمها ما أمكن .
- الانتباه إلى أن الأطفال يقلدون الكبار في تناول الأدوية : فالطفل يرى جده يتناول بعض حبوب القلب قد يتناول بعض الحبات التي ربما تقتله .
- عدم ترك الزجاجات الفارغة أو الأدوية التي انتهت صلاحيتها بين يدي الأطفال يلعبون بها ، بل يجب التخلص منها بشكل جيد .

منتدى القراء

تعقيب على مقال :
هل هناك صحافة إسلامية ؟

فقد قرأت ما كتبه الأخ عبد القادر حامد في مجلة البيان العدد ٣٧ تحت عنوان (هل هناك صحافة إسلامية؟).

وقد أثار الأستاذ عبد القادر في هذا المقال مشكلة خطيرة يجب ألا تغيب - عن بال أي مسلم فضلاً عن الدعوة والمفكرين ، وهي مشكلة محدودية الطرح والمعالجة لكثير من قضايا الإسلام المصيرية والبالغة الأهمية في الصحافة الإسلامية.

ولا شك أن هذا القصور في الطرح والمعالجة في الصحافة الإسلامية ليس ناتجاً عن عجز في

الطرح أو جهل فيما يجب أن يطرح من قضايا وإنما هو قصور ناتج عن ترجيح مصلحة الاستمرارية في الكتابة والوصول إلى كل مسلم في كل بلد إسلامي . ولا شك أن الله لا يكلف أحداً ما لا يطيق ، وما يطلبه الأخ عبد القادر ومعه كل مسلم غير ليس في طاقة مثل هذه المجالات ولكن هل نعذر أمام الله سبحانه وتعالى بهذا أم أننا مطالبون بالعمل على إيجاد وسائل أخرى يمكن أن نطرح مثل هذه القضايا فيها بحيث تصل إلى كل مسلم.

لا شك أننا مطالبون بذلك كما لا أشك أن المسلمين هم أولوا الأبواب والعقول التي لن يعجزها - بحول الله وقوته - أن تجد مثل هذه الوسائل وإن مما يدور في خلد كثير ممن يحملون هم الدعوة إلى الله أن توجد إذاعة إسلامية تقوم بهذا الدور بحيث لا تمر مثل تلك القضايا على مقص الرقيب أو منفذ الحدود في طريقها إلى كل مسلم ولا شك أن هذه الفكرة و أمثالها صعبة التحقيق لوجود كثير من العوائق التي من أهمها القاعدة الصالحة للانطلاق منها والتمويل .. الخ . ولكنها على أية حال ليست مستحيلة إذا ما وجدت رجالاً صادقين يقدررون الدور الذي يمكن أن تقوم به ويبيعون أنفسهم لله ، وإني في هذه المناسبة أدعو الإخوة الفضلاء في المنتدى الإسلامي إلى تبني مناقشة هذه الفكرة ومدى تطبيقها خاصة وأن من أهم ما يجب أن يراعى في ذلك أن تكون في أيدٍ تحمل عقائد صحيحة حتى لا تكون طامة على المسلمين.

عبد الله بن حمد السكاكر

البيان : لقد وضع الأخ الكريم إصبعه على لب المشكلة ونحن نشاركه ذلك ، ولكن كيف يتجاوزها المنتدى أو غيره ؟ وهل يستطيعون !؟

تعقيبات على بعض

ما جاء في العدد ٣٨

ورد في ص ٨٣ في نهاية المقال لفظ (تقنين شرع الله) والصواب القول : تطبيق شرع الله ، أما التقنين فلا ، ولعلها زلة قلم.

وفي ص ٨٥ حديث عائشة في خيل سليمان وهو حديث صحيح كما في آداب الزفاف للألباني ص ١٧٠ (الطبعة السابعة المكتب الإسلامي) والمشكاة (٢/ ٩٧٤) وصحيح أبو داود (٣/ ٩٣٢).
وأما حديث «نعم الجمل جملكما..» فضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ١٨٢) لكن ذكر رواية للطبراني في الأوسط وحسن إسنادها وهي :

عن البراء بن عازب قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم- يصلي فجاء الحسن والحسين أو أحدهما فركب على ظهره فكان إذا رفع رأسه قال بيده فأمسكه أو أمسكهما قال : نعم المطية مطيتكما وانظر روايات غير هذه في المجمع . وعند الترمذي وضعفه وهو كما قال عن ابن عباس رضي الله عنه- قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم- حامل الحسن بن علي على عاتقه فقال رجل نعم المركب ركبت يا غلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم- : ونعم الراكب هو « جامع الأصول (٣٧/٩) والمشكاة (١٧٣٩/٣) . ورواه الطبراني بقصة لكنها ضعيفة (مجمع الزوائد ١٨٢/٩) .

وقصة النبي صلى الله عليه وسلم- عندما أطال السجود لوجود الحسن أو الحسين على ظهره مشهورة صحيحة كما رواها النسائي (١٤٦/١ صحيح النسائي) وانظر صفة الصلاة للألباني (ص ١٤٨ ط مكتبة المعارف) .

وحديث «كفوا صبيانكم..» أصله في الصحيحين بلفظ «إذا كان جنح الليل أو أمسيتم فكفوا صبيانكم فإن الشيطان ينتشر حينئذ فإذا ذهب ساعة من الليل فخلوهم ، واغلقوا ..» وفي رواية البخاري : «..واكفوا صبيانكم عند المساء فإن للجن انتشار أو خطفة..» وفي ص ٥٨ حديث «لأن يمشي أحدكم مع أخيه..» أورده الألباني في الصحيحة (٩٠٦) لكن الصواب أنه ضعيف انظر النافلة في الأحاديث الضعيفة والباطلة تأليف الجويني (١٨٠/٢) والرواية التي عندهم بلفظ (شهر) وفي المجلة بلفظ شهرين . وفي ص ٥٩ حديث «الخلق كلهم عيال الله..» ضعيف انظر السلسلة الضعيفة (٣٧٤/٤) والنافلة للجويني (٢/٥٣) لكن ثبت لفظ «خير الناس أنفعهم للناس» كما في السلسلة الصحيحة (٤٢٦) (٧١٢/١) .

الدولة العثمانية في محكمة التاريخ

عابد حميان

من المفارقات العجيبة حقاً في عالمنا العربي الإسلامي اليوم من يوجه إصبع الاتهام إلى الدولة العثمانية وسلاطينها ، لما لحق بالعالم العربي والإسلامي من رزايا وتسلط وانحطاط ، ولعل من أخطر هذه الاتهامات وأشنعها على التاريخ فضلاً عن الإسلام أن هذه الدولة لم تكن في يوم من الأيام تمثل الخلافة الإسلامية بشكل أو بآخر ، إضافة إلى ذلك أنها جهاز استعماري استبدادي ، وأن سلاطين آل عثمان ظلمة مستبدون كانوا يلقون خصومهم بالعشرات وإن شئت بالآلاف في البوسفور ، كما كانت لها قوة ضخمة تشتغل بالتجسس وتصادر الحريات العامة في جميع الأقاليم التي كانت خاضعة لصولجانه .

والحقيقة أن هذه الافتراءات فات أوانها وأصبح بطلانها من نافلة القول ، وإن كانت من النظريات الدخيلة التي يحاول الغزو الفكري والتبشير إذاعتها في الأوساط العلمية ، ولكن لا بأس أن نوضح ثم نصح تلك المفاهيم متوخين في ذلك القدر الكافي في استنتاج أحداث التاريخ .

ومن الآراء التي تفند هذه المزاعم مقال طويل كتبه عبد الله النديم في مجلة «الأستاذ» عام ١٨٩٣ هـ جاء فيه : «لو كانت الدولة العثمانية مسيحية الدين لبقيت بقاء الدهر بين تلك الدول الكبرى ، ولكن مغايرة الدين وسعي أوربا الحثيث في تلاشي الدين الإسلامي أوجب هذا التحامل» . أما محمد

عبده الذي قال أثناء إقامته في بيروت عام ١٨٨٩ : «إن الدولة العثمانية وحدها المحافظة على سلطان الدين الكافلة لبقاء حوزته وليس للدين سلطان في سواها».

أما مسألة ما يقال عن الدولة بأنها كانت تمارس الاستعمار فإنها فكرة مردودة بحكم التاريخ ذلك أنّ الدولة العثمانية عملت على توحيد الشعوب الإسلامية تحت سلطة واحدة محاولة الالتقاء والتكامل بين عناصر الأمة الواحدة من عرب وترك على إثر ضعف المماليك وتعرض بلاد الشام للغزو الصليبي في القرن السادس عشر ويؤكد العديد من المؤرخين والباحثين المنصفين أن هذه الدولة قد حمت أكثر من خمسة قرون ظهر العالم الإسلامي من الغزو الصليبي الاستعماري فما إن سقط أسطولها البحري عام ١٨٣٧ حتى دخلت فرنسا الجزائر بحملة عسكرية بعد ثلاثة سنوات (١٨٣٠) ثم تونس (١٨٨١) ثم انعقاد مؤتمر برلين الاستعماري عام ١٨٧٨ الذي يرمي إلى تقسيم ممتلكات الدولة التي كانت تعرف «برجل أوروبا المريض» حسب زعم تلك الدول.

ويعتبر تاريخ القرن السادس عشر والسابع عشر بداية التآكل على المستويين الداخلي والخارجي بعد مدّ وجزر ... وتقدم وتأخر ... وإشراق ونكوص ... انتصار وخيبة ... فتح واسترداد .. وقد حكمها خلال القرون المتعاقبة العديد من السلاطين ، منهم من امتاز بعظمته كالسلطان مراد الرابع الذي حكم للفترة ١٦٣٣ - ١٦٤٠ م والذي استطاع أن يخلص بغداد قبل موته بسنة واحدة من سيطرة الفرس الصفويين الثانية على العراق وذلك سنة ١٦٣٨ م . فاقترن اسمه بعد ذلك بـ (فاتح بغداد) . ومن السلاطين الآخرين - من امتاز - بقله تجربته ، وضعف شكيمته كالسلطان مصطفى الأول الذي حكم للفترة (١٦٢٢ - ١٦٢٣) فقد تدخل الجيش في شؤون الدولة . كما يحتفظ التاريخ للشعب التركي المسلم بمزايا عديدة منها أنه شعب مناهض متحمس طموح فيه روح الجهاد وكان سليماً بحكم نشأته وقرب عهده بالفطرة والبساطة في الحياة.

لقد لعبت الطائفة اليهودية المعروفة بـ (يهود الدونمة) دوراً خطيراً في تأليب الوضع السياسي داخل الدولة بحيث كانت صاحبة اليد الطولى في إنشاء حزب الاتحاد والترقي المتشعب بالعصبية الطورانية المعادية للعروبة و الإسلام حتى يومنا هذا.

شجاعة....

عبد الله العنزي

طلب مقابلي على وجه السرعة على أن يكون اللقاء انفرادياً ، قلت : عسى أن يكون الأمر خيراً ، قال أمر هام وسأخبرك عند لقائنا .

حضر قبل الموعد المضروب وبعد مجاملات الاستقبال قال بصراحة أريد منك أن تخبرني بعيوبي فإني أثق فيك وفي تقويمك ، تملكنتي الدهشة لعلمي بمدى الحواجز بيني وبينه ولعلمي بطبيعته الشخصية التي تأبى النقد وكشف عيوبها ، ولهذا كانت نبرة صوته المنقطعة توحى بمدى المعاناة في قهر كبرياء النفس ، وبعد أن أفقت من لحظة المفاجأة خطر في بالي أن أجامله وأقول له بأنني لا أرى فيه عيباً واحداً يستحق الذكر ، ولكن الله عصمني من هذه الزلة - وهي كتمان النصح للمسلم - فبدأت أذكر له عيوبه عيباً عيباً مستدلاً لكل عيب بموقف يبرهن على وجوده فيه ، شكرني بحرارة ثم انصرف واعدت بتلافي تلك العيوب .

كم نحن بحاجة إلى مثل هذا الأخ الذي يطلب النصح ممن يراه قادراً عليه ، كم نحن بحاجة إلى قهر كبر النفس وعجرفتها في هذا الأمر ، كم نحن بحاجة إلى أن نكون مثل هذا الشخص .

إن مما يحز في النفس أن يمضي الإخوة في الله سنين دون أن يبدي واحد منهم لأخيه عيوبه مع كونه عالماً بها ، إن هذا الموقف حتم علي الكتابة لكم حتى يُقتدى بهذا الأخ والله من وراء القصد.

زوجة الداعية

عبد الله الشراييد

إن محاسبة النفس مراراً وتكراراً تساعد على الرقي بمستوى الداعية وبالتالي دعوته ، ومن محاسبة النفس أن يسأل الداعية نفسه :

ما هو دوري تجاه زوجتي؟

هل قمت بنصحها وإرشادها؟

قد يظن ظان أن دور الداعية ينتهي منذ أن يعثر على تلك الشابة الملتزمة بدين الإسلام والتي ارتضاها شريكة حياته دون سائر الفتيات . ولكن هذا هو جزء من الدور ، والدور الحقيقي هو متابعة النصح والإرشاد بعد الزواج ، بالأسلوب المناسب وبالقدوة الصالحة.

ومتابعة النصح والإرشاد لا تعني المطالبة بأن تكون الزوجة كاملة ولكننا بحاجة ، في هذه الفترة بالذات (فترة بداية الدعوة) ، إلى أن تكون زوجة الداعية قدوة بمعنى الكلمة وإلا فإن أول أثر سيئ لها سيكون على زوجها حيث ستعيقه عن الاستمرار في حمل دعوته.

ثم إنَّ الداعية الذي يخل بتربية زوجته ، أو يتساهل في تعليمها المبادئ الأساسية في حياة الدعاة إلى الله ستخذه هذه الزوجة في وسط الطريق وهو في أمس الحاجة إليها ، وسيضطر إلى أن يلتفت إليها ويعاود نصحتها وإرشادها بعد أن خسر الكثير . كما أن نقص المفاهيم الأساسية عندها قد يتسرب إلى زوجات الدعاة الآخرين ، وبذلك يكون الداعية قد أضر بدعوته من حيث لا يدري ، كما أنه من الواضح أنَّ الداعية الذي يصلح نفسه وزوجته ، سيشجع الآخرين ولا شك علي إصلاح زوجاتهم ، لذا فإن مسؤولية تربية الزوجة مسؤولية عظيمة.

إنَّ بعض الدعاة يظن أن الرحمة والرفقة يتعارضان مع النصح والإرشاد وهذا بلا شك فهم خاطئ ، لأن الرفقة والرحمة هما من أساليب التربية وليستا مانعين لها أو متعارضين معها . بل أن بعض الدعاة يظن أنَّ تربية الزوجة على الأخلاق الاجتماعية الفاضلة مثل صلة الأرحام وبر الوالدين والإحسان إلى الناس والقيام بحقهم وإيثارهم وتحمل أذاهم و... ، قد يعد ذلك تدخلاً في شؤون النساء الداخلية ، وهذا أيضاً فهم خاطئ لأن ذلك من تمام القوامه التي أمر الله بها والله أعلم ، ولأن الزوجة التي تخل بالأخلاق الفاضلة ستكون عائقاً في وجه اقتداء الناس بها وبزوجها.

إن المفاهيم التي يجب أن تعيها زوجة الداعية كثيرة ، نذكر منها ما يلي باختصار :

أولاً : اقتضاء العلم والعمل . وهذا مطلب للجميع وإن تطبيقه في الواقع مما يشجع الداعية وزوجته ويشيع روح التفاؤل في الأسرة.

ثانياً : «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» وهو حديث شريف إن عمل به الداعية وزوجته عصمها الله من كثير من الذنوب والمعاصي كالغيبة والنميمة والحسد وما سوى ذلك.

ثالثاً : «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» وهذا أيضاً حديث شريف يعين على مكارم الأخلاق كالإيثار ومحبة الخير للناس والفرح لفرحهم والحزن لخزهم ... إلى غير ذلك من الخصال الاجتماعية الطيبة.

بريد القراء

وردتنا رسالة من مدير مكتبة التراث الإسلامي في مصر يعترض فيها على ما ورد في البيان عدد (٤٠) في نقد الأستاذ محمد عبد الله آل شاعر لصنيعهم ببعض الكتب ، فعرضنا الرسالة على الكاتب وتفضل بالرد التالي :

... اطلعت على ما في الرسالة التي جاءت إقراراً آخر على ما قلناه ، فهو قد دافع عن عمله في كتاب «السحر والكهانة» وقال : إنه مجمع من كذا ... والمأخذ كان على عملية التجميع هذه . وإن كان قد كتب في مقدمة الكتاب ما يوضح من أين أخذه ، فإنه في كتب أخرى - لم يشر إطلاقاً إلى ذلك . ومثاله الكتاب الذي يلي هذا مما أشرت إليه في المقال ، وهو ما أصدره عن «أشراط الساعة» وقد أخذه من : «لوامع الأنوار البهية» للسفاري ، دون أية إشارة ، وينبغي التصريح بذلك على الغلاف ، ولا تكفي إشارة عابرة على استحياء داخل الكتاب . وقد أشرت في مقالي إلى النوعين من العمل ، ولكن الأخ الناشر لم يقرأ ما كتبتة جيداً . أما مقدمة الدكتور محمد جميل غازي (رحمه الله) فهي رأي تشجيعي للأستاذ حجاج ، ولا تعني بحال تسويقاً لهذا العمل على هذا النطاق الواسع في تفتيت الكتب حتى يصبح الكتاب الواحد كتباً عدة ، دعك من إضافة فصول من كتاب لمؤلف إلى كتاب لمؤلف آخر - مما ذكره الأستاذ حجاج نفسه - فأصبح الكاتب مهجناً .. ليس هذا هو العبث بعينه ، وقد أقر الأستاذ بنفسه؟! وعلى كل حال؛ إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت.

غربة

شعر عبد الله الخميس

يستوي الليل عنده والصبح ومن العيش بالممات يراح	يعتريه الأسى ويكسوه حزن
ويُرى منه صبره والكفاح	ملء عينيه سؤله كيف صارت
من هدي الله أمة تستباح؟	غارة لوعة وظلم كبير
ولهيبٌ وخسنة اجتياح	صرخة دمعة وذل عظيم
ودماء وحسرة وجراح	داعي الخير ناله الظلم ممن
قلبه للفساد والظلم ساح	صوتهم في الخفا وإن جنَّ ليلٌ
يملاً الكون في الظلام التباح	أيها الطامعون -لا- لن تنالوا
مطمعاً فارجعوا إلى من أباحوا	ارجعوا أيها الطغاة وإلا
سينال الرقاب منكم سلاح	سوف يبقى الدعاة كي يطردوكم
مثلما يطرد الظلام الصباح	ويعود الربيع من بعد غيبٍ
وتولي أديارهن الرياح	

الورقة الأخيرة

كذب وكذب!

عبد القادر حامد

هل كان الغرب ينتظر هذه النتيجة : انهيار وانهزام الشيوعية كنظام ؛ ومصير الاتحاد السوفييتي إلى بوابة المجهول ؟ هذا ما هو مشكوك فيه ولم يكن أكثر المحللين والمؤرخين دقةً يصل إلى توقع ما وصلت إليه الأمور هناك ، ولعل في هذه النهاية عبرة لمن يريد أن يبني نظاماً على فلسفة الكذب.

إن العقيدة الشيوعية اتخذت من الكذب أساساً تقيم عليه تصورات ، ووسيلة تثبت بها أركانها في حياة الناس ولا شك أن ما بني على باطل فهو باطل ، وهو - وإن غرّ كثيراً من الناس بمظهره وتزييفاته وألغائه - سيصل إلى نقطة يتعذر عندها الاستمرار ، وسيقف ثم يسقط . وهذا بالضبط ما حصل في دول أوروبا الشرقية وفي الاتحاد السوفييتي. فآلة الدعاية استنفدت أغراضها ، فماذا ينفع الشعب القول له : إنه عظيم ، وإنه جبار ، وإنه دولة قوة عظمى ، وإن جيشه يعد كذا وكذا ومسلح بكيت وكيت من أسلحة الدمار النووية ومن الصواريخ العابرة للقارات وهو شعب جائع ، عار ، مقهور محروم من أشياء يراها عند غيره من الشعوب ، قربتها إليه وسائل الاتصال ، يراها كالأحلام ، وتصل حقائقها إليه عبر الحقائق السوداء ، والأسواق السوداء ، فلا يستطيع عنها صبراً ، وكيف يصبر ؛ وقد استمرت "الاشتراكية" تلح عليه ليتخلى عن عقيدة الصبر التي غرسها في وجدانه «الإقطاعيون والبورجوازيون ورجال الدين!» ثم بعد ذلك تكتشف هذه الجماهير المضللة أن الذين يتقلبون في ثمار البورجوازية والإقطاع هم «مبشرو الشيوعية» أنفسهم : فهم تجار السوق السوداء ، وتجار الحقائق ؛ وهم اللذين يتشددون بألفاظ واصطلاحات مثل : «الطهر الثوري» و «المناقبية» بينما هم يعيشون أصدادها ، ويتضمخون بنجاساتها. قد يمكن لأنظمة صغيرة العيش في ظل سياسة الكذب ، ولكن القوى الكبرى لا تستطيع ذلك ، وذلك لأن الأنظمة الصغيرة - عادة - ما تنبري قوى أكبر منها تسندها ، لأن في إسنادها ضماناً لمصالح هذه القوى أو بعضها ، ولهذا فإن كيانها لا على الكذب الخالص ؛ بل على مصالح حقيقية، سواء كانت هذه المصالح مكشوفة ، أو مستترة . ولكن من ذا الذي يستطيع أن يسند نظرية كذبها العقل قبل أن توجد ، وكذبها الواقع بعد أن أوجدت ؟! من ذا الذي ينفخ الحياة في جسم ميت؟! وكذلك فإن الكذب على بضعة ملايين أسهل منه على عشرات الملايين ، والكذب المتنوع أرجى للقبول من الكذب ذي اللون الواحد . فلو نظرنا إلى الأهداف التي من أجلها يكذب ويتكاذب (١) الناس خلال سبعين سنة (وهي عمر الشيوعية العقيم) في مجالين : العالم العربي ، والبلاد التي شاعت فيها هذه العقيدة ؛ لهالنا تنوع الأهداف في المجال الأول ؛ وتفردتها وجمودها في المجال الثاني . فمثلاً في المجال الأول نجد غنى وتنوعاً في هذه الأهداف : التحرر وطرده الاستعمار ، الدخول في العصر الحديث ، رفع راية الإسلام ، رفع راية القومية العربية ، الوحدة العربية ، تحرير فلسطين ، بناء المستقبل ، تحرير الأرض ، إزالة آثار العدوان ، الصمود والتصدي ، التوازن الاستراتيجي ، السلام القائم على العدل ، السلام ، الوفاق ، ... الخ... أما في المجال الثاني : فهو هدف واحد يبدأ من البروليتاريا وإليها يعود ، ويدور حول البيان الشيوعي وأسطورة وحدة عمال العالم ووحدة العمال والفلاحين.

ما أغنانا بالأهداف والأساليب!

وما أفقر الشيوعية والشيوعيين.

ولا عجب! فأرضنا مهد الحضارات ، ونحن أساتذة العالم ! أليس كذلك؟!!

الهوامش :

١- التكاذب : أن يكذب كل واحد على الآخر ، أو كل جهة على الأخرى ، وهما يعلمان أن كلا منهما كاذب ومكذوب عليه.

تمت بعون الله والحمد لله
